السيد هادي المدرسي

عاشوراء

دار ومكتبة الهلال

كتاب

عـاشـوراء

كتاب

عاشوراء

تأليف :
السيد هادي المدرسي

دار ومكتبة الهلال
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨٥

دار ومكتبة الهلال

بيروت ـ حارة حريك ـ شارع المقداد
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



مقدمة

عاشوراء، موعد للانتفاضة ضد الجبت داخل النفس، كما هو موسم للنزال مع الطاغوت في سوح الجهاد..

والحسين (ع) شمعة تلتف حولها الفراشات الباحثة عن النور، كما هو رمح طويل، بطول التاريخ كله، تخشاه خفافيش الليل، وحكام الجور..

وكربلاء شهادة ادانة لكل ارض، لم تتطهر بعد بدماء الشهداء من اجل دحض الباطل، واحياء الحق..

وكتاب عاشوراء ليس كتاب الماضي بل هو كتاب المستقبل واي شعب يستلهم من روح التصدي والتحدي وبسالة المقاومة والمناصرة، وشجاعة الجهاد والفداء.. لهو شعب مكتوب في جبينه الانتصار!

اننا امام حادثة عاشوراء بمناسباتها وبسالاتها وكل تفاصيلها، لسنا امام حدث تاريخي، بل امام مشاعل ترش النور على طريق التحرير من ظلمات الجهل، والتخلف والظلم والتقاعس..

ومن هنا لايمر عام الا ويتجدد الحسين ـ ع ـ في صورة شعلة من نار تحرق جفون ظالم هنا وطاغوت هناك حتى كأن «كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء» وكل ثائر من اجل الله والحق والحرية حسين، وكل ظالم يزيد، وكل امرأة لسانة الثائرين زينب، وكل شاب يخوض الجهاد قاسم ووهب، وكل شيخ طاعن في السن يؤيد المؤمنين حبيب وكل قاضي يغطي على جرائم الحاكمين شريح، وكل مأمور ينفذ اوامر الظالم شمر وعمر بن سعد..

ان عاشوراء لا تزال تملك الكثير من الكلام الذي نقوله والكثير من الحكايات التي ترويها، وهي بذلك مدرسة تخرج رهبانا في الليل وفرساناً في النهار، متنمرين في ذات الله، لايخافون من اجل الله لومة لائم..

فلنعد الى عاشوراء.. نتتلمذ عليها، ونتعلم منها كيف نموت، فنعرف بعد ذلك كيف نعيش..؟ لان من لايختار طريقة موته، لايعرف طريقة حياته

وهذا الكتاب، هو عبارة عن وضع «علامة حمراء» في طريق التعرف على ثورة الشهيد الذي هزّ التاريخ كله، ومحاولة متواضعة من أجل أن نعرف كيف كان يفعل الحسين(ع) واصحابه الكرام لو كانوا اليوم معنا، و يواجهون ما نواجهه..

وكل املنا أن يطل علينا الحسين(ع) واصحابه، من عليائهم ليطلبوا لنا التوفيق من الله تعالى ان نكون نماذج ـــ ولو مصغرة ـــ عنهم..

والله من وراء القصد..

هادي المدرسي

القسم الاول

دروس عاشوراء



الفصل الأول

الامام الحسين
ولادة جديدة للأمة ....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

(صدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ)



ثلاث معارك كبرى خاضها الاسلام في تاريخه، و كان لكل معركة بطلها، كما كانت لكل معركة ظروفها السياسية و آثارها الاجتماعية...

فالمعركة الاولى. كانت مع الكفر، و كان بطلها النبي محمد(ص)، إذ واجه النبي(ص): الكافرين و الملحدين الذين كانوا بعيدين عن رسالة الله، فكرا و ايمانا و عقيدة و سلوكا، و كانت جبهة الكفر واضحة و صريحة، كما كانت جبهة الايمان واضحة و صريحة ايضا، و قد وقعت بين الجبهتين معارك و حروب كان الاسلام فيها كله يواجه الكفر كلّه ـــ حسب تعبير الرسول(ص).

و المعركة الثانية هي معركة الاسلام مع التحريف، و مع الذين حملوا شعارات الاسلام نفسه، ولكن بعد تحريفها و تطبيقها على من لم تنزل بحقه...

و كان بطل هذه المعركة هو الامام علي(ع). فلقد واجه الامام علي ـــ ع ـــ من صارعوه للوصول الى مركز قيادة المسلمين و هم بعيدون عن الاسلام.

ولقد ظهر هذا التحريف جليا، حينما قتل عمار بن ياسر، و تذكر المسلمون كلمة الرسول بحقه «تقتلك الفئة الباغية». و هنا اخترع العدو تأويلا غريبا لهذا الحديث الثابت، حينما قالوا: «ان الذي قتله هو الذي اخرجه ـــ اي الامام علي ـــ» ثم رفعوا المصاحف على الرماح مطالبين بالعمل به في مواجهة اول المسلمين ايمانا واقدمهم في السجود لله، و اقواهم في قتال المشركين.

اما المعركة الثالثه، فهي معركة الاسلام مع التزييف، و كان بطلها الامام الحسين(ع).

فلقد واجه الامام الحسين(ع) وضعاً استثنائيا متردیا في الامة حيث انقلب كل شيء رأسا على عقب، فاذا بالمنابر قد تحولت من مسائل للارشاد والهداية، الى وسائل للسب و الشتم و اللعن. و اذا بالسيوف التي شهرها الاسلام في وجه الكفر

انقلبت لمواجهة اهل البيت و اذا بالزكاة التي هي من اجل تطهير النفوس و تزكيتها تصرف في شراء الضمائر.

كما ان الحاكمين الذين اخذت البيعة لهم عن طريق الاكراه، او عن طريق الترغيب، كانوا يحكمون باسم رسول الله، و من هنا فان معركة الامام الحسين(ع) تحظي بالاهمية القصوى، تماما كما ان لمعركة الامام علي، و معركة النبي اهميتها القصوى ايضا.

ذلك لان الانتصار النهائي للدين، ليس في ان يصبح باسمه حاكمون على وجه الارض، و انما الانتصار الحقيقي، ان تكون الحاكمية الفعلية للقيم، و المبادئ التي ينادي بها الدين فما دامت المبادئ والقيم تتعرض للتحريف و التزييف، فلا قيمة للشعارات، ولا قيمة للاطارات.

والاسلام يجعل المقياس النهائي، هو الايمان و العمل الصالح، وليس مجرد الشعار.

و من هنا فان انتصاره النهائي، هو انتصار قيمه، و مبادئه، و محتواه، و هذا ما كان مفقودا في الظروف التي ثار فيها الامام الحسين(ع)...

و لأهمية معركة الامام علي، و معركة الامام الحسين، عليهما السلام، نجد ان رسول الله(ص) كثيرا ما كان يقول: «يا علي تقاتل على التأويل، كما قاتلت على التنزيل».

و كان يقول بحق الامام الحسين(ع) (حسين مني و انا من حسين) (أحب الله من احب حسينا). (الحسين مصباح الهدى، و سفينة النجاة). (الحسن و الحسين، ريحانتاي من الدنيا)...

ان النبي الذي عصمه الله من الخطاء، لا بالعواطف، و لايقول المديح في الامام الحسين لانه جدّ يحب حفيده! كلا!

و ليس صحيحا ان قول النبي(حسين مني و انا من حسين) يعني انه من النبي جسدا.. انما يقصد ان مبادئه هي مبادئ الامام الحسين و ان المبادئ التي سيثور من اجلها و بها الحسين هي مبادئ رسول الله(ص).

و هنا يأتي التساؤل، ماهو موقع ثورة الامام، في التاريخ الاسلامي؟ و لماذا

نحيي ذكرى ثورته و نعتبرها معركتنا جميعا؟؟

والجواب: ان الامام الحسين تجرد لله، و في سبيله، و تنازل عن كل شئ ف سبيل هذه الرسالة، التي حملها على كتفه الكريم و قاتل من اجلها و قتل في النهاية ايضا...

و لذلك قيل «ان الاسلام محمدي الوجود و حسيني البقاء»...

فكان الامام الحسين(ع) مقرونا بالرسالة، والرسالة مقرونة بالامام...

و هكذا الذين يذوبون في رسالتهم، و في مبادئهم سيكون لهم اهمية المبادئ، و ستكون لهم قيمة الرسالة ذاتها.

ان الحسين(ع) كجسد قتل قبل اكثر من الف عام، ولكنه كمبدأ، و كقضية، و كرسالة، موجود في كل عصر، و في كل زمان.

و ثورته لاشك هي ثورة الانسان، كما اراده الله، و ثورة الاسلام كما انزله الله.

فحينما يكون الانسان عاملاً في سبيل المبدأ، و حاملا للراية، سيتحول الى قضية، و رسالة، لانه في الواقع يتحول من جسد الى مرآة تملأ الافق و تعكس الصالح، و تميزه عن الصالح.

و بالنسبة الينا اليوم.. نحن نقيس الرجال بالمبادئ التي قاتل من اجلها الحسين، فكلما كان الرجل اقرب من حيث الصفات الى الامام الحسين(ع)، اعتبرناه رائدا، و كلما كان قريبا الى عدوه، اعتبرناه عدوا. و عن طريق المقارنة بينه، و بين الآخرين نحكم على بعض الرجال بالموت، و على رجال آخرين بالسقوط.

فما هي دروس حياة الامام؟..

ولد الامام الحسين(ع) و كانت لولادته قصة، و لكلام النبي مع الحسين ايضا قصة لامجال لذكرها هنا. الآ ان ما هو ظروري لأن نعرفه ان رسول الله ــ منذ البداية ــ كان يريد الحسين لقضية هامة في التاريخ، و كذلك الامام علي و فاطمة عليها السلام، فعلى الرغم من ان الامام الحسن، و الامام الحسين من قادة جيوش الامام علي ــ سلام الله عليه ــ الآ ان الامام كان حريصاً جدا على حياتهما... حتى قيل لمحمدبن الحنفية ــ و هو احد ابناء الامام علي من غير فاطمة ــ: كيف يدفع بك علي الى القتال في وسط

المعارك، بينما يقف الحسن و الحسين معه؟.

فاجاب: «انا يده، وهما عيناه، وباليد يدفع الانسان عن عينه الأذى القذى». و هكذا كان النبي و الامام علي يريد ان للحسين دوراً كبيراً في التاريخ.

* * *

كانت معركة الحسين مع الزيف، معركة كبرى في تاريخ الاسلام، وبهذه المعركة تحدد مصير الاسلام كله، وخرج من ايدي الحاكمين، الذين كانوا يريدون التلاعب به، وتحويله الى دين كالمسيحية و اليهودية في وقتنا الحاضر، يسيطر عليه اناس من امثال البابا.

اولئك الحاكمون كانوا يريدون الاسلام الذي يحفظ لهم سلطاتهم... كانوا يريدونه اسلاما يدور كيفما يدور الوضع السياسي، ويتغير حسب مزاج الحاكم و الامير. هذا الاسلام الرسمي، تستخدمه السلطات لتجميل صورتها، و للتغطية عن سوءاتها. كانوا يريدونه اسلام الحفلات و الاعياد و المؤتمرات...

و هذا الاسلام الرسمي هو الذي واجهه الامام الحسين. و كان الكثيرون من الذين انخدعوا به يقولون «الحمدالله... مادامت مساجدنا عامرة، و مادام الحج حرا، يستطيع كل مسلم ان يطوف حول الكعبة فيه، و مادامت الدولة تتحدث باسم الاسلام، مادام كل ذلك قائما، فان الاسلام بخير»!.

هكذا كانت نظرة الكثير من الناس في زمن الامام الحسين...

الان ان الامام الحسين(ع) كانت له وجهة نظر اخرى، ولقد ظهرت وجهة نظره هذه في كلماته المباركة حينما قال... «ايها الناس اني سمعت رسول الله يقول: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا بيعته، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل او قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله».

او قوله...

«والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد».

او قوله «إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، و هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك و رسوله...»

او قوله... «اني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما»...

أو قوله «الا وان هؤلاء قد اظهروا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن، واتخذوا مال الله دولا، و عباده خولا، و انا احق من غيّر»...

أو قوله «الا و اني لم اخرج اشرا ولا بطرا و لا ظالما و لا مفسدا، و انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي. اريد ان امر بالمعروف، و انهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله اولى بالحق، و من رد عليّ هذا، اصبر حتى يقضي الله بيني و بين القوم الظالمين».

هذه الكلمات تعبر عن وجهة نظر الامام الحسين، فهي مواجهة الاسلام الرسمي المزيف. الاسلام الذي يشبه «لعب الاطفال» التي لها كل ملامح الحقيقة، من دون ان ينتفع بها الانسان، كما ينتفع بالحقيقة...

فلرب سيارة صغيرة من البلاستيك، تحمل كل ملامح السيارة الكبيرة. ولرب صورة طفل تحمل ملامح الطفل الحقيقي، ولكن لاروح في هذا الهيكل. و هكذا الاسلام اليوم في كثير من البلاد، بدون روح... و هكذا كان الاسلام الذي واجه الامام الحسين(ع).

و دائما كان الحاكمون يريدون اسلاما على شاكلتهم. و ترى الواحد منهم يصلي بالناس صلاة الجمعة و في اللّيل يترامي في احضان الغانيات. و يحيي ذكرى مناسبات الاسلام، و له حفلات وليال حمراء.

الا نرى ان امثال هؤلاء الحكام ــ اصحاب الاسلام الرسمي ــ يسجلون اليوم ــ بأسمهم في النهار ــ بستانا هنا، و قصراً هناك ، و شقة في هذا الفندق او ذاك بينما هنالك العشرات من الالوف من المسلمين يموتون من الجوع بين ايديهم؟

او انه يبني مسجداً هنا، و يتبرع لجمعية إسلامية هناك ، بينما سجونه ممتلئة بخيرة المجاهدين، في سبيل الله.

هذا الاسلام واجهه الامام الحسين(ع)،... و قد اتهم الامام بالكفر، والمروق عن الدين، و الخروج عن رسالة النبي(ص).

و لقد سمح الامام لنفسه ان يقاتل من يقف مع هذا الاسلام المزيف لأن من يقف معه هو اضرمن الكافر...

فالكافر صريح في كفره، و لكن المنافق يستطيع ان يضر الدين و المسلمين،

من دون ان يستطيعوا دفعه. فهو يلبس مسوح العباد و الزهاد، ولكن داخله يضج بالحقد على الاسلام...

و الدروس التي نستخلصها من حياة الامام حسين هي كالتالي...

اولاً: لايجوز أن ننخدع بالمظاهر، بل لابد من تقييم اي شئ بحقائقه لامظاهره.

اننا اليوم نعرف جيدا ما هو شكل الاسلام الحاكم.

فالكل يعرف ان الكلمات التي تقال في مدح الاسلام من مثل السلطات، انما هي نابعة من الخوف من الجماهير، و ليس اكثر من ذلك، و لامانع لدى هؤلاء الحاكمين على البلاد الاسلامية، ان يعلنوا الكفر الصريح ، و ان يظهروا في افلام وهم عراة، يمارسون العهر و الدعارة، ان كانوا آمنين من غضب الشعب...

الا انهم يتسترون بستار الاسلام، بعد ان حولوا نظمه السياسية الى خيمة مضروبة الاطناب ليمارسوا تحتها كل ما يريدون، من الموبقات، و اي معاصي اكبر من المعاصي التي يرتكبونها؟!

و اي معاصي اكبر من المعاصي التي تحدث عنها الامام الحسين (ع): «الا وان هؤلاء قد تركوا طاعة الرحمن، و اطاعوا الشيطان و اتخذوا مال الله دولا، و عباده خولا»...؟

هذا المال ـــ الذي هو لله ـــ يدور في قنوات من جيب هذا الحاكم الى جيب ذلك الوزير، بدون ان ينزلق منه شئ الى يد الفقراء و المساكين، و كم من بناية تولد في كل يوم، للمتزلفين، الذين هم على قرابة مع ذلك الحاكم ، او ذلك الامير، وترى الحاكم يملك اسواقا، و ابنيته و شوارع و بنايات و اخوه يملك بساتين، و زوجته تملك فنادق و فلل و ما شابه ذلك ا.. و كل الشعب يعاني من الجوع.

و اين القيت ببصرك، رأيت بناية، لايحتاج لان تسال: لمن هذه: انها لا تخرج عن كونها للامير اولاخيه، او لابنه او لصاحبه، او لمن باع نفسه للشيطان، وهكذا فان المال «دولة» بينهم و هم يحتكرون كل شئ من المال الى السياسة والاقتصاد، و الصحافة، والتجارة...

هؤلاء الحكام يريدون ليس احتكار المال وحده، بل الكلمة ايضا فكل شئ

يجب ان يكون لهم ، فهم الذين يصدرون القانون، لا حق لأحد في ذلك.

هذا الدرس العظيم، نستلهمه من حياة الامام الحسين (ع) ، فلا يجوز أن ننخدع بالمظاهر ، ونحن نعرف ماذا يختبىء ورائها. . .

ثانيا: وجوب مقاومة الظلم، حتى مع العلم بأن لا أمل في النصر من هذه المقاومة.

فالانسان قد يكون واثقا من النصر فيقدم على المجابهة مع الباطل و هذه معركة التجار، لامعركة الثوار، فالتاجر حينما يكون واثقا من نفسه، يقدم على البيع و الشراء، واذالم يكن واثقا لايقدم.

فأن تخوض المعركة و انت لست واثقا من النصر، او انك واثق من الهزيمة هذه هي المقاومة المبدئية التي يعلمناها تاريخ الثورة الحسينية، لان مجرد المقاومة نصر. فزرع القلق في نفوس الظالمين واجب رسالي، فقد اخذ الله من العلماء ان لايقارّوا على كظة ظالم، و لاسغب مظلوم، كما يقول الامام علي عليه السلام...

ثالثا: ان الانتصار لايعني الحصول على الكرسي، و المشاركة في الحكم، فالانتصار قد يكون بالموت، و بالشهادة...

اليس الامام الحسين اليوم منتصرا؟ واليس كل واحد منا يريد التقرب اليه، و التمسك به؟

الحسين لم ينتصر على يزيد بالحصول على الكرسي، و انما انتصر عليه بالدم و بالشهادة.

ان الانتصار بالشهادة هو بحد ذاته اغلى انواع الانتصار، لان الشهادة وسيلة للنصر «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون»...

رابعا: ان الامام الحسين علمنا ان المبادئ فوق كل الاعتبارات...

كان عمره ثلاثا و ستين عاما، و كان حوله شباب في عمر الزهور و اخرون شيوخ من خيرة المؤمنين على وجه الارض، من امثال العباس، و حبيب بن مظاهر، و علي الاكبر، و زهير بن القين، و القاسم بن الحسن...

ولم يقل الامام نحن نريد الحفاظ على «الكوادر» و بالتالي لاداعي للتضحية بهؤلاء في ساحة المعركة. ولم يقل انني اريد الاحتفاظ بهم، و هو الذي وصفهم بقوله: «الا و اني لا ارى اصحابا خيرا، و لا ابرّ، و لا اوفى من اصحابي»، هؤلاء ضحى

بهم الامام الحسين، في معركة استغرقت نصف نهار...
و ربما يقول بعض الباحثين عن النصر المادي: لماذا يفقد الانسان كل ما بناه، خلال ثلاث و ستين عاما، في نصف نهار؟!
نعم... ان تفقد كل شئ لكي تربح المبادئ، و لكي تبقى القيم، ذلك هو الربح الاكبر عند الله تعالىٰ.
الم يقل علي الاكبر لأبيه حينما سمعه «يسترجع»:
ـــ: يا ابه! اولسنا على الحق؟
قال ـــ: بلى، والذي بيده ارواح العباد...
قال: اذن لانبالي، اوقعنا على الموت او وقع الموت علينا...».
هذه هي بعض دروس تاريخ الامام الحسين(ع)، و هذا هو موقعه في التاريخ...

الفصل الثاني

الامام الحسين وارث هابيل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا

(صَدَقَ اللَّهُ العَظِيم)

منذ أن قتل قابيل هابيل، انقسم الناس الى قسمين: قسم المقتولين، و قسم القتلة!

و اصبحت الحياة جبهتين: جبهة الحق، و جبهة الباطل.

و الصراع بين هاتين الجبهتين لانهاية له، الا بانتهاء الحياة و الانسان من على هذه الارض.

لقد اقدم قابيل على قتل هابيل لسبب واحد و هو: ان هابيل رفض منطق القوة و العنف اللامشروع، الذي لايمت الى الحق بصلة.

و ما قتل قابيل لهابيل الا لخنق صوت الحق، لان هابيل كان يتمتع بكفاءات معينة، تبوئه لان يكون و ريث آدم، و خليفته من بعده ولم تكن هذه الكفاءات متوفرة في قابيل.

من هنا فان هابيل كان هو الاحق بقيادة مسيرة الحياة في تلك العائلة الصغيرة آنذاك، ولكن قابيل ـ شأنه شأن ورثته من الطغاة ـ، لم يكن يتمتع بكفاءة معينة، ولم يكن مخلصا، ولذلك لم يكن يستحق أن يكون و ريث آدم، ولم يكن يمتلك حيلة سوى استعماله العنف لقتل صوت الحق، و كان يظن أنه بذلك يقضي على هابيل، الذي كان ينافسه، و هو على حق.

قال تعالى:

«واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر».

لماذا تقبل الله قربان هابيل و رفض قربان قابيل..؟

ــ : لأن هابيل كان اقرب الى الله، و اكثر ارتباطا به و عبادة له، ولم يكن يريد التسلط، ولم يكن من دعاته، و انما كان يمتلك منطق الأمانة، و لذلك تقبل الله منه.

و حينما لم يتقبل الله من قابيل قربانه، قام هذا الأخير بمهاجمة هابيل، و قال له مهددا، كما يقول كل الطغاة:

«لا قتلنك»!

قال هابيل: «انما يتقبل الله من المتقين».

و هكذا...

فليس لأي انسان الولاية على اي انسان آخر، و انما الولاية لله، تبارك و تعالى، و هو الذي يتقبل، و هو الذي يعين حسب المقاييس، و حسب القيم.

فمن يقود الناس؟ و من يحكمهم؟ هذا أمر لايبت فيه الانسان و لايبت فيه موقف العنف ولايحق لاي حاكم ان يفرض نفسه حاكما على الشعب و منطقه الوحيد هو انه يملك السلاح و ليستطيع ان يستعمله.

و لهذا فقد راح هابيل يقول لقابيل:

«لئن بسطت يدك اليّ لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك، اني اخاف الله رب العالمين، اني اريد ان تبوء باثمي و اثمك فتكون من اصحاب النار و ذلك جزاء الظالمين».

ولكن لم تكن لتؤثر هذه الكلمات في قلبٍ حجب بالشهوات...

«فطوعت له نفسه قتل اخيه»...

و هكذا تفعل شهوة التسلط، و الرغبة في التحكم، و العشق للكرسي، و التشبث بالسيادة على رقاب الناس، و تلك هي التي دفعت قابيل لان يقدم على جريمة قتل الحق الذي تمثل في هابيل.

ان الطغاة دوما، لايطيقون سماع كلمة الحق، لان كلمة الحق ثقيلة عليهم، كما ان السارق يهرب من كلمة (سارق) و الكذاب لايمكن ان يرضى بكلمة «الكذاب»، لأن الظالم و الغاصب و المعتدي يعرف نفسه جيدا و بمجرد ان يذكر الناس حقيقته، يستحوذ الرعب عليه فيخشى الناس، ولايجد بدا من خنق اصواتهم فيقتلهم.

ان الطاغوت لايجد أمامه الاوسيلة واحدة للاستمرار في الحكم و هي: وسيلة اسكات صوت الحق، في شخص من ينطق بكلمة الحق.

و حينما قتل هابيل، اراد قابيل ان يواري جثمانه، حتي يطمس اثر جريمته الشنعاء ولكنه لم يتوصل الى حيلة لذلك.

«فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوئة اخيه، قال يا و يلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوئة اخي... فاصبح من النادمين».

اننا الآن امام موقفين: موقف هابيل ـــ الحق، و موقف قابيل ـــ الباطل، الذي توسل بالعنف كوسيلة لاخماد صوت الحق متمثلا في شخص هابيل.

و من بعد تلك الحادثة انقسمت الحياة الى قسمين: قسم يقف فيه «القابيليون» شاهرين سيوفهم في وجوه الناس، و قسم، آخر يقف فيه «الهابيليون» و هم يحملون على اكتفاهم مبادئ الحق و الخير و الحرية.

و اذا كان «الغراب» هو الذي قام بهداية قابيل الى طريق «التغطية» على جريمته، فان القابليين اليوم يتوسلون بالغربان!

و قد تتساءل ما هي غربان الطغاة اليوم؟

والجواب/ هم تجار الكلمة المنافقة، و وعاظ السلاطين، و علماء البلاط، و ائمة الجور، و قضاة الظلم، الذين يرمون على جرائم الطاغوت ركاما من كلمات المديح، و تصاريح الموافقة ليغطوا بها سوآتهم.

و هكذا فان الحياة في كل زمان لها صورة واحدة متكررة و هي: هابيل من جهة... و قابيل من جهة و غراب، أسود، ينتظر الجريمة، ليغطي عليها، من جهة ثالثة!

فكل من يقف مع الحق، و يدافع عن الناس، والمحرومين، سواءاً كان ذلك في السابق، أو الآن، او غداً فهو من ورثة هابيل.

و انّ كل من يقف في جبهة الباطل، و يناصر الظلم، فهو وارث من ورثة

قابيل...

اما ورثة الغربان، فهم صحفيو الطاغوت، و أجهزة اعلامه.

و لآن الطغاة لايستعطيون العيش الاّ مع الغربان، فان ندمائهم دائماهم هؤلاء الذيليون، المداحون الكذابون... الذين امرنا رسول الله(ص) ان نقاطعهم و قال: حثوا في وجوه المداحين التراب...!

* * *

قال اللّه تعالى:

«قل اعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس».

فيؤكد الله ــ عزوجل ــ انه هو المالك، و صاحب الملك والسلطان على الناس، فمن فرض نفسه ملكا او اميرا او سلطاناً من دون حق فهوينازع الله في ملكه. و من امتلك شيئا بلا استحقاق فهوينازع الله ايضا. و كذلك الأمر بالنسبة الى من يشرع للناس القوانين التي ما انزل بها من سلطان.

اما من يغطي على هؤلاء، فهو الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

* * *

«من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس، او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا».

ان الباطل في قضية قابيل و هابيل، توسل بالعنف، و قتل صاحب الحق، لذا كتب الله ان البشرية «وحدة» واحدة، فمن تعدى على انسان واحد فسجنه، فكانما سجن الناس جميعا. و من تعرض لانسان فعذّبه، فكأنه عذّب الناس جميعا. و من قتل انسانا واحدا، فكأنما قتل الناس جميعا.

«و من احياها فكأنما احيا الناس جميعاً، و لقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون».

* * *

اننا حينما نقف امام ضريح الامام الحسين(ع) نقول في زيارته عليه السلام:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله». ... لماذا؟

لان الامام الحسين في كربلاء وقف موقفا «هابيلياً»، و كان الشمر، و عمر ابن سعد، و يزيد ابن معاوية، يقفون موقفا «قابيلياً».

لذلك فان الامام الحسين وارث هابيل. «و هابيل هو الوريث الشرعي لآدم و لرسالته» و ان كل مهموم يعيش في السجون، لانه قال كلمة الحق، و كل من قتل، لأنه قال كلمة الحق. كل هؤلاء هم ورثة هابيل. و ان ظالميهم و قاتليهم، و ساجنيهم، ورثة قابيل.

* * *

في كل يوم هنالك معركة بين قابيل و هابيل، بين الحق و الباطل. لذلك فان «كل يوم عاشوراء و كل ارض كربلاء».

فمن يقف في جبهة الحق يقف موقفاً هابيليا، و من يقف في جبهة الباطل يقف موقفا قابيلياً و يتكرر ذلك فى كل مكان و زمان.

* * *

... و نقول في زيارتنا للامام الحسين(ع) ايضاً:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله».

ذلك لأن النبي نوح وقف وحده مع قلة قليلة، ممن آمن معه، في مواجهة طوفان من الباطل والشر، ولكنه لم يهن، ولم يضعف، ولم يقل: ان الظالمين يحكمون الارض، و ان الطغاة قد سيطروا، و مدوا سلطانهم الى كل دائرة، و انهم يملكون من وسائل التدمير، و وسائل العنف مالا نملك.

بل قال: ان الحق معي.

والحق بحد ذاته قوة!

ثم ان الذين رفضوا الاستجابة لنوح، ولم يؤمنوا به، فقد ابتلعهم الطوفان، فيما بعد، و اصبحوا من المغرقين.

و ان كل الذين لا يقفون موقف الحق، كذلك سيأخذ هم الطوفان. سواء طوفان الجوع أوالظلم أو العبودية.

و ان الذين يقفون موقف الحق ــ مع اي نفر قليل من الناس ــ اولئك هم الناجحون.

فالحسين هو الشاهد و الشهيد الذي وقف في كربلاء موقف الحق. لقد كان

يمثل هابيل، و كان يمثل نوح.

و بالرغم من انه (فشل عسكريا)، الا انه انتصر بالفعل. و اما الذين تفرقوا عنه ولم يقفوا موقفه، فان طوفان الظلم قد شملهم و اجتاحهم.

* * *

و نقرا في الزيارة:

«السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله».

لقد كان ابراهيم صديقا لله، و كذلك الحسين، و كل من يقف مع الحق، و يقف مع الله حينما يكون الدين غريباً انما يقف مع ابراهيم.

* * *

و نقرأ ايضا...

«السلام عليك يا وارث عيسى روح الله... السلام عليك يا وارث موسى كليم الله... السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله... السلام عليك ياوارث علي ولي الله».

ان الحسين(ع) يقف ضمن قافلة على رأسها هابيل... و ان قافلة اليزيديين على رأسها قابيل. و نجد اليوم من يمثل هابيل، و من يمثل قابيل، و نجد من يمثل الحسين، و من يمثل يزيد.

يبقى ان علينا ان نكشف يزيد زماننا. و حسينه...

و للحقيقة فان من يمثل يزيد كثيرون.

ولكن من يمثلون الحسين هم قليلون. فقلة من الناس هم الذين يقارعون الظلم، والطغيان، و التسلط، و التجبر، بيد ان النصر يكون دائما حليفا لهذه القلة. ذلك لان الله ــ تبارك و تعالى ــ يقول في كتابه العزيز:

«كتب الله لاغلبنَّ انا و رسلي».

و ان اولئك الذين يعيشون في السجون، و اولئك الذين يعلقون على اعواد المشانق، و اولئك الذين يتعرضون للنفي والطرد و الهجرة، اولئك هم الذين ينتصرون في النهاية. و هذه ارادة الله في الارض.

ترى: من انتصر في معركة عاشوراء؟ الامام الحسين ام يزيد؟

لقد اثبتت الاحداث ان يزيد هو الذي قُتل في كربلاء، و اما الحسين فهو

الشهيد الشاهد الحي الذي يرزق عند الله.

فترى في كل مكان، وعلى كل ارض هنالك ذكرى الحسين(ع). فالحسين في قلوب الصادقين حيّ يرزق، و هو في قلوب الثائرين، راية تخفق، و هو في قلوب المؤمنين علم لايمكن ان يهوى على الارض.

و هكذا هو الحسين، راية تهتز الى ابد الدهر. و انا لنجده في كل بيت. و في كل مدينة، في كل مكان مؤمن حسيني يتحرك بوحي ثورة الحسين(ع).

و لا تمرّ ذكرى عاشوراء، الا والناس يثورون في كل مكان، لأن امامهم هو الحسين الثائر، و سيدهم و معلمهم و قائدهم هو الشهيد الصادق.

والسؤال الآن: ماذا فعل الحسين «وارث هابيل»؟ و ماذا يجب ان يعمل «الهابيليون»؟

و الجواب: ان يعملوا بشعار «لا اله الا اللّه» و يحولوا هذه الكلمة الى سياسة و تربية، و اقتصاد، و اجتماع.

لا اله الا الله، يعني: رفض الطاغوت، و مواجهة الباطل، و الثبات على الحق. كما يعني اقامة التوحيد.

و «لا اله الا الله» هي سياسة تخريب البنى الطاغوتية، و هي سياسة البناء الحضاري المستمر.

ان الحسين(ع) قال في كربلاء «لا اله الا الله». كما قالها رسول الله(ص) في مكة، و كما رفعها المسلمون في مواجهة الظلم و الطغيان، على طول التاريخ.

لا اله الا الله، ليست شعارا يرفع، بل هي سياسة و عقيدة... رسالة و ثورة... لا به ان يصبغ الحياة كلها بلون التوحيد، فلا ينصب طاغوت نفسه ملكا، و مالكا لرقاب الناس، لانه الا قدر على استعمال العنف، والاسرع الى الاحرام...

ان الطغيان بمنطق قابيل، يمنع الحياة من النمو، و يمنع الناس من التقدم، و لذلك فالطغاة عقبات في طريق الحضارة البشرية، و لا تقدم للعشوب الا اذا سقطت كل الرايات، ما عدى راية لا اله الا الله...

و من هنا فالثائرون على الطغاة، هم مشاعل الحضارة... و هم ورثة هابيل. كما كان الحسين عليه السلام.

الفصل الثالث

الظروف الموضوعية لثورة الإمام الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ

(صَدَقَ اللّٰهُ العَظيم)



معركة عاشوراء هي من اقصر المعارك في التاريخ، ابتدأت و انتهت في نصف نهار، الاّ ان هذه المعركة القصيرة، حفظت في ذاكرة الزمن، و اصبحت من اعظم معارك التاريخ تأثيراً في هذه الارض، على الاطلاق.

معركة عاشوراء، لاتزال و بعد مرور قرابة الف و ثلاثمائة و خمسين عاما، تؤثر في نفوس الناس، و تحركهم الى العمل و الثورة، و تستدرّ دموعهم.

و يتمنى الملايين في هذا الزمن، لو كانوا في كربلاء، و قاتلوا مع الامام الحسين، و قتلوا معه! فالكلمة التي يرددها المؤمنون دائما هي:

«ياليتنا كنا معكم! فنفوز فوزا عظيما».

و يتساءل المرء: كيف كانت اقصر معركة في التاريخ هي اوسعها تأثيرا في الناس؟ و ما هي الظروف التي ثار فيها الامام الحسين(ع)؟ و على من ثار؟ و من كان معه؟ و من وقف ضده؟... والجواب:

ــ: لكي نعرف قيمة اي عمل، لابد ان نضعه في ظرفه، و وقته المحدد.

ان كلمة يقولها مؤمن في مواجهة الطاغوت، في زمن الاستسلام لهي كلمة عظيمة و ان راية يحملها ثائر في زمن الصمت، لهي راية مقدسة. و حينما يدخل الناس جميعا في دين الله، و يصبح الدين (موضعة العصر)، حينئذ لن يكون الدخول في الدين بطولة، و لكن حينما يدخل المؤمن في دين الله، و ينخرط في الثورة، بينما الناس كلهم ضدها، و الطاغوت يتحكم على رقاب العباد، حينئذ يكون لهذا العمل طعم البطولة!

اي ظرف ثار فيه الامام الحسين(ع)؟

كان الصمت مطبقا، قد ضرب اطنابه في الامة، و كم من افراد جاؤا الى الامام الحسين، ينصحونه بعدم الخروج، قائلين له: يا أبا عبدالله! ان يزيد يقتلك، و هو رجل لايستحق ان يكون قاتلك.

قال الامام: او ليس من هوان الدنيا على الله، ان يهدي رأس نبي الله يحيي ابن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل!!

* * *

و اذا اردنا ان نذكر بأيجاز ظروف ثورة الامام الحسين(ع)، فلابد ان نذكر **اولا:** لقد تحولت السلطة في عهد الامام الحسين من خلافة، الى ملكية يتوارثها الابناء عن الاباء، و من حكم يعتمد على الشورى كما يأمر الاسلام، الى حكم يتدخل في تعيين الحاكم السيف و الذهب، و يوصي الآب لاولاده بالحكم كما يوصى لهم بالعقار.

بينما الخلافة التي سبقت حكم يزيد و معاوية، كانت تعتمد على نوع من انواع الشورى، الاّ ان يزيد عيّنه ابوه بقوة السلاح، و بالترغيب بالاموال و الاملاك. و يحدث التاريخ.

ان معاوية اقام مجلسا، و جاء بكل اهل الحل و العقد فيه، و وقف الخطيب، والى جنبه الجلاد و قال للناس: هذا اميرالمؤمنين. (و اشار الى معاوية). فان مات، فهذا (و اشار الى يزيد)، و من أبى فهذا (و اشار الى الجلاد)!

اذن السلطات تبدلت من حكم يتدخل في تعيينه الناس و الجماهير، الى ملك عضوض، يتوارثه الابن من ابيه، و يخرج هذا الوارث من رحم امه، و بيده صك الحكومة.

لماذا؟! لانه ابن امير، فهو ولي العهد.

ثانيا: كان الحاكمون الذين يفترض فيهم المحافظة على اخلاق، اكثر الناس

فسقاً و فجوراً، و لقد قال الامام الحسين(ع):

«انّا اهل بيت النبوة، بنا فتح الله، و بنا يختم، و يزيد شارب الخمور، و راكب الفجور، و قاتل النفس المحترمة، و مثلي لايبايع مثله».

لقد حدّد الامام، الحاكم الذي تجب عليه الثورة، فهو الحاكم الذي يشرب الخمور، و يسمح بها في البلاد، و يركب الفجور، و يمارس العهر و الدعارة و يقتل النفس المحترمة بالتعذيب او بالسيف!

ثالثا: ان علاقة الحاكمين بالناس، كانت علاقة الظالم بالمظلوم و الجلاد بالضحية، فالحاكم قاتل و الشعب مقتول، و الحاكم معصوم، و على الناس ان يسجدوا له، و يركعوا... بل و حتى اذا كانوا يمشون في ارض الله الواسعة، و جاء الحاكم لكي يمشي، عليهم ان يصطفوا على جانب، لكي يمر موكبه.

و حينما يأتي الحاكم، و يفرض سلطته على الناس من دون الله، هنا تجب الثورة عليه.

رابعا: شيوع حالة اللامبالاة و الصمت بين الناس، و حينما يموت الوجدان الثائر في الانسان، فلابد له من صدمة دموية، كثورة الامام الحسين، لكي يستيقظ، ذلك لان اخطر انواع الموت هو موت الضمير.

و قد يتساءل المرء، كيف ماتت الضمائر؟

و الجواب...

ان الجيل الرسالي الاول كان ينقرض في عهد الامام. و كان يترك مكانه لجيل جديد لم يتعود على ما تعود عليه الرعيل الاول.

و كم كان الامام الحسين خائفا، من ان يستشري الصمت على ما يجري في قصور الامراء، و في مراكز الحكم و مؤسساته فيشمل ابناء الأمة جميعاً.

فقام الامام بثورته لكي يهز هذا الضمير الميت، و لكي يقول للناس: لا تكونوا لامبالين عما يجري في قصور الحاكمين، و لا تكونوا لامبالين فيما يفعلونه بالناس، والا كنتم معهم، و شملكم العذاب معهم.

* * *

اما بالنسبة للاجابة على سؤال: على من ثار الامام؟

فلقد حدّد الامام ذلك حينما قال:

«ان هؤلاء أظهروا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن، و اتخذوا مال الله دولا، و عباده خولا، و انا أحقّ من غيّر».

ان هنالك فئة من الناس تعبد الشيطان، و تترك طاعة الرحمن، و يتبادلون اموال لأمة فيما بينهم. و كم من عائلة تتحكم في مصائر العباد و البلاد، و يتداولون الاموال، فهذا يبني بناية، و يبيعها على صاحبه، و هذا بدوره يؤجرها على الناس.

و اذا حدقت بنظرك لرأيت الفاصل الطبقي كبيراً بين الشعب الفقير، و بين المترفين، فهنا فقير يموت من الجوع، و هنا حاكم يموت من التخمة! تلك هي المعادلة الخاطئة التي يجب تغييرها بالدم.

و لقد حدد الامام الحسين الذين ثار عليهم، بقوله:

«الا ترون الى الحق لايعمل به، والى الباطل لايتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا».

حينما ترى حقا متروكا، و باطلا معمولا به، فلا بد ان تثور على هذه الحالة الجاهلية...

و الامام الحسين كجسد، قتل في كربلاء و دفن فيها، و لكنه كثورة، باق ما بقي الدهر، و من هنا يتكرر الامام الحسين(ع) في كل زمان، للثورة على يزيد و اليزيديين، لان معركة الحق ضد الباطل مستمرة، منذ قتل قابيل هابيل، والى يوم يبعثون.

والناس، اما مع هذه الجبهة، او تلك...

و حينما يرى الانسان حقا مذبوحا، فلابد ان يثور، و حينما يصرع هذا الانسان في سبيل الحق، يصبح قيمة حضارية، يتكرر و يعشقه الثائرون في كل زمن.

الثائرون يبحثون عن الحسين في كل زمن، و يذهبون الى خيمته، ليجدوا فيه قائدهم و مولاهم، فيستلهمون منه دروس الصمود و التحدي والاستقامة، و يعودون من بعده اكثر ايمانا و التزاما.

* * *

لقد ثار الامام الحسين على طائفتين: حاكم طاغية، و شعب مستسلم متخاذل، ولم تكن ثورته ــ ابدا ــ على الحاكمين فقط، فلولا وجود من يستسلم، لما اصبح الحاكم حاكما، فالحاكم لايملك سلطات سماوية، و لاقدرات خارقة، و انما

هو رجل من هؤلاء الرجال.

ولكن حينما يكون هناك صمت على مايفعل، و لامبالاة عما يجري في البلاد، فان الحاكم يصبح طاغوتاً و جلادا...

لقد رأينا بأم اعيننا كيف كان الشاه المقبور يعربد في المنطقة كشرطي للولايات المتحدة الاميركية، الا ان قوته لم تكن ذاتية، و انما كانت نابعة من صمت الناس.

و حينما ثار عليه الناس، اصبح هائما على وجهه لايدرى اين يعيش و اين يموت فمرة في مصر و اخرى في المغرب و ثالثة في بنما، و رابعة في مصر عند زميله انور السادات.

و لقد رأينا كيف وضع انور السادات يده في يد الصهاينة، و عربد و زمجر، و لكن حينما ثار عليه ثائر واحد، انتهت اسطورته! و كانت رصاصات الشهيد خالد الاسلامبولي و رفاقه الابرار، هي التي وضعت حدا لهذه الاسطورة الزائفة.

و يالها من رصاصات حسينية!

* * *

الامام الحسين كان ينطلق من منطلق الواجب. لا من منطق الممكن، و الذى كان يهمه هو: اذا ما عليه من واجبات. و تلك هي مسألة خطيرة تحدّد مصير الأنسان في الحياة ـــ...

فما هو واجبك الآن؟

لايهم ماذا سيترتب على موقفك، فقد تعتقل، و قد تعذب، و قد تقتل، و قد تسفّر، الاّ ان الذي يثور في سبيل قيمه، يحسب حساب القيمة، و لايحسب حساب الربح فهو التاجر، لا الثائر..

و كما قال الامام الحسين عليه السلام.

«ان قوما عبدو الله رغبة في جنته، فهي عبادة التجار، و ان قوما عبدوا الله رهبة من ناره، فهي عبادة العبيد، و ان قوما وجدوا الله اهلا للعبادة فعبدوه، فتلك عبادة الاحرار».

و كما جاء في الدعاء عن الامام علي عليه السلام:

«الهي... ماعبدتك اذ عبدتك طمعا في جنتك، ولا خوفا من نارك،

ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك».

كان الامام الحسين (ع) ينطلق من منطلق المسؤولية ، و من هنا فان مسؤولية كل مؤمن في كل عصر، ان يحسب حساب وظيفته الشرعية، و واجبه السماوي.

ان على المؤمن ان يثور على الباطل، اما النصر فن الله، ان شاء اعطى و ان شاء منع...

* * *

حينما ارسل الامام علي(ع) ولده محمد بن الحنيفة في حرب صفين لمواجهة العدو، أوصاه بوصايا قال فيها:

«تد في الارض قدمك، (كن ثابت القدم كالوتد و كالمسمار)، عض على نواجذك، اعر الله جمجمتك، وارم ببصرك اقصى القوم».

ثم قال الامام:

«و اعلم ان النصر من عندالله».

و كما يقول الشاعر:

و على المرء ان يسعى بمقدار جهده وليس عليه ان يكون موفقا

* * *

بهذا المنطق ثار الامام الحسين —ع— و هو منطق الواجب، لا الممكن.

و اما بالنسبة للاجابة على سؤال: من كان مع الامام الحسين؟

فانظروا الى كربلاء...

كان مع الحسين الطفل الرضيع... و الشاب الذي هو في عمر الورود، والشيخ الطاعن في السن، و المرأة الثائرة.

ان ثورة الحسين(ع) جاءت لتخاطب ضمائر كل الفئات فتقول:

—: أيتها المرأة!

لا تقولي: أنا امرأة، فزينب كانت امرأة، وام وهب كانت امرأة، و ام كلثوم كانت امرأة، و الرباب كانت امرأة.

—: و يا أيها الطفل!

لا تقل انا طفل، هل انت اصغر من عبدالله الرضيع؟ انك لست اصغر من

هذا الطفل البرئي، الذي رماه حرملة بن كاهل بسهم وقع في نحره، فذبحه من الور يد الى الور يد.

ـ: و يا أيها الكهل!

لست اكبر من حبيب بن مظاهر، ذلك الشيخ الطاعن في السن... و ذلك الثائر الذي قتل مع الامام الحسين(ع) و بين يديه.

لقد كان مع الامام الحسين، شعب كامل يقاتل، كانت معه المرأة و الرجل، و الطفل، و الشاب، و الشيخ، و الابيض والاسود.

و حينما يكون هنالك مجتمع يشارك، طفله و شابه، و امرأته، و شيخه في الثورة فانه يستحق النصر من الله ـ عزوجل ـ.

* * *

اما من كان ضد الامام الحسين(ع) فهم الحاكمون من جهة و وعاظ السلاطين من جهة اخرى، اولئك الذين افتوا بقتل الامام، من امثال شريح القاضي، وكان ضده اولئك الخائفون من الموت، الذين وقعوا في طاحونة الموت.

ان الامام الحسين عرّف الموت، قلادة حلوة تزين الانسان قائلا:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة».

اما الخائفون فانهم كانوا خائفين منه...



الفصل الرابع

مواقف الناس تجاه ثورة الامام الحسين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ
وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(صدَقَ اللَّهُ العَظيم)



لم يكن للناس، موقف واحد تجاه الرسالات..

بل كانت لهم دائما مواقف متباينة، ولكل موقف رجاله وافراده.

و هذه المواقف، هي ذاتها التي برزت في موقفهم تجاه ثورة الامام الحسين(ع) باعتبارها ثورة رسالية تبناها حفيد رسول الله(ص) دفاعا عن الاسلام..

و لكي نفهم هذه المواقف، لابد ان نتعرف على اصحابها بصفاتهم، و نفسياتهم، و اساليبهم.

الموقف الاول: موقف الادانة والمواجهة، و هو موقف اولئك الذين لم يروا من الثورة الحسينية الا و جهها المأساوي، فهم شاهدوا الدّم المراق على ارض كربلاء، كما رأوا فيها النساء المحمولات على النياق العجاف من غير، غطاء ولاوطاء..

لذلك حكموا على هذه الثورة بالفشل و ادانوها!

ان هؤلاء، خافوا من اراقة الدماء، و لكنهم بدل ان يحكموا ضدالمجرمين، ادانوا الضحايا..

و من هنا فهم اعتقدوا ان «الوحدة» في ظل يزيد افضل من الانخراط في ثورة الامام الحسين(ع).

الموقف الثاني: موقف الحياد، و هو موقف اولئك الذين لم يفهموا الصراع الحضاري، و الفارق الاساسي بين الامام الحسين(ع) و بين اعدائه.

و كل مافهموه منها ان يزيد سلطان و ان الحسين ايضا سلطان ولادخل لهم بين السلاطين.

و مثل هذه الفئة لا تستطيع الا ان تؤيد الامام الحسين(ع) قلبيا، فهو ابن بنت رسول الله(ص)، الآ ان هذا التأييد لايخرج عن منطقة القلب، ليترجم في المواقف، و من هنا، فانهم و جدوا انفسهم معفيين من اتخاذ اي موقف، تجاه الصراع الذي دار بين الامام، و بين اعدائه. وكلمتهم فى ذلك معروفة «مالنا والدخول بين السلاطين»

و في الحقيقة، فان هذا الموقف لم يكن موقف الحياد تماما، بل كان بشكل او بآخر، منحازا الى جانب اعداء الحسين(ع) و يصب في خانة الظالمين..

ذلك لأن الارض حينما تتنقع بالدم في الصراعات فلا يمكن ان يقف الانسان محايدا، الا لكي يكون مؤيدا للقاتل..

اذ ماذا يريد القتلة، الا صمت المشاهدين، ليستمروا في عمليات القتل، من دون معارض؟

الموقف الثالث: موقف التأييد، و هو موقف اولئك الذين عرفوا ان الحسين(ع) ليس جسدا، بل رسالة، و ان ثورته لم تكن معركة انتهت في كربلاء بل هي مسيرة، و ان عدوه ليس سلطانا تجسد في يزيد، بل سلطات الجور في كل زمان..

و لذلك فقد كان قتل الحسين(ع) بالنسبة اليهم، محاولة لقتل الرسالة، كما كانت محاولة طمس قضيته محاولة لطمس الرسالة..

و هل يجوز الصمت تجاه ذلك؟

و من هنا، فان هؤلاء، و جدوا انفسهم مكلفين بحمل راية الحسين(ع)، و اتمام مسيرته..

و قد يتساءل المرء :ترى لماذا هذا الاختلاف في فهم هذه الثورة، و من ثم لماذا الاختلاف —الى حد التباين— في اتخاذ الموقف منها؟.

والجواب:

ان الموقف الحقيقي للانسان تجاه اي حدث ليس موقفا «عموديا» بل هو موقف «افقي» فهو ليس موقفا انفراديا، بل هو موقف شمولي..

فتجاه الصراع بين الحق والباطل، و الايمان والكفر، لايكون موقف الانسان الا انعكاسا لموقفه من الله— عزوجل—، و من ثم موقفه العام في الحياة..

فالانسان شاء ام ابى، يحدد موقفه تجاه الخالق اولا — ثم يحدد جبهته في الحياة.. و من ثم يختار قدوته فيها..

فالشاب الذى لم يؤمن بالله و اعتبر نفسه مخلوقاً صدفيا، من السديم جاء، والى السديم يعود، لايفهم الحياة الا عبثية مطلقة، و قدوته لن يكون الا العابثين، و مواقفه لن تكون الامواقف اللامسؤلين واللاعاملين..

كما ان حكامه لن يكونوا افضل منه فـ «كيفما تكونوا يولّى عليكم» كما يقول الامام علي —ع—

اما الذى اختار مولاه و خضع لجبروت الله فلايمكن الا ان يكون ثائرا ضدالطغيان، و من ثم مؤمنا بالثائرين، فهو يرى الحياة بغير عدالة ذلة، كما يرى الموت في سبيل الله عزة، و فخراً..

و سيرى قدوته في الامام الحسين —ع— دون غيره، و رسالته في رفع لوائه، و مقاومة اعدائه في كل زمان و مكان..

الم يقل الامام الحسين — ع —

«اني لااري الموت الآ سعادة والحياة مع الظالمين الابرما»..؟

مثل هذا سيكون ثائرا، والثائر، يبحث عن الثائرين، و سيكون رساليا، والرسالي لايلتزم الا بمنهج الانبياء والصالحين..

و قد قال الله تعالى:

«يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا او لعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم، والكفار اولياء، و اتقوا الله ان كنتم مؤمنين».

و قال:

«يا ايهاالذين امنوا اتقواالله و كونوامع الصادقين».

و اي الناس اصدق من الشهداء في سبيل الله؟

و اي الشهداء، افضل من الامام الحسين(ع)؟

ان الانسان قد يدعى امراً، و حينما يراه صعباً يتراجع عنه..

و قد يحمل رسالة، و حينما يتطلب انتصارها خوض مواجهة ساخنة مع الاعداء، يتراجع عنها..

و الادعاء سهل..

والمدعون كثيرون..

و كما قال الامام الحسين ــع ــ

«الناس عبيدالدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه مادرّت به معائشهم، فاذا محّصوا بالبلاء قل الديانون».

ان الامام الحسين(ع) حدد اهدافه، و من ثم اعلن ثورته، ثم حمل كل اعزته، واولاده وانصاره الصادقين،وجاء بهم الى ميدان المعركة، و خاض مع اعدائه حربا تطايرت فيها الايدي و الرؤوس.. ولم يتراجع عن اي شئ..

و حينما قيل له:

ــ لماذا تخرج؟

قال:

ــ شاءالله ان يراني قتيلا!.

و حينما قيل له:

ــ فما بالك تحمل معك النساء والاطفال؟

قال:

ــ شاءالله ان يراهن سبايا..!

«شاءالله!» و كفى! و مادام ان الله شاء نزول الرسالة، و من ثم وقوع الصراع عليها و وقوف البعض معها، والاخرين ضدها، فان الله شاء للحسين ان يقف مع الرسالة، و ان يقتل من اجلها، و ان تسبى نساءه و عياله، و يدار برأسه اربعين منزلا!.

هنا.. تجوز الثورة فقد «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، و ان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله..»

هكذا شاءالله للحسين(ع) ان يقتل!.

و هكذا شاءالحسين(ع) ان يبقى صامدا لا تنال السيوف والرماح من صموده، و ثبات موقفه!.

و ان يكون صادقا مع الله، في عهده اليه، لقوله تعالى:

«من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و مابدلوا تبديلا».

اذن..

مواقف الناس تجاه ثورة الحسين(ع) تختلف باختلاف مواقفهم بتجاه الله.. و تجاه الحياة.

الذين اتخذوا موقفا مضادا لثورة الامام الحسين(ع) قالوا عنه..

«قتل بسيف جده»!!

و هم بذلك ايدوا القاتل في انفسهم، وادانوا القتيل و من ثم أيدوا الاجرام في الحياة و انتصروا لشيطان الظلم في الدنيا..

و لقد تمادى بعضهم في ذلك حتى قال:

«ماصح قتله (اي ما صح ان يزيد قتل الحسين(ع) ولاامر به، و حتى لم يصح ذلك عنده،)لم يجز ان يظن ذلك به، فان اساءة الظن بالمسلم حرام»!

قتل الحسين(ع) حلال، و اساءة الظن بيزيد حرام!.

و هكذا يتحول يزيد بسهولة من قاتل الى ضحّية، ومن فاسق الى مؤمن لايجوز الظن السئ به..

و بسهولة يتحول الحسين(ع) من شاهد على زمانه و شهيد من اجل الرسالة الى خارج على امام زمانه و من ثم «قاتل نفسه!».

ان هؤلاء لايعطون في الحقيقة «شهادة براءة» للقاتل فحسب، بل يقدمون لكل المجرمين في التاريخ، تبريرا لاعمالهم، و يهيئون الارضية الصالحة، لتقبل الجور والظلم والعدوان..

انهم لايدافعون عن يزيد بن معاوية، امام الحسين(ع) فقط بل يدافعون عن يزيد زمانهم، في مواجهة الثائرين..

واليزيدي، لايختار الا يزيد قدوة..

والحسيني لايختار غيرالحسين اماما..

* * *

ان الذين قالوا: لماذا خرج الامام الحسين على نظام يزيد و ثارعليه، و فرّق كلمة

المسلمين، بينما كان عليه ان يلتزم بالصمت حفظا لوحدة الكلمة! انما ادانوا الضحية وبرأوا الجلاد، اولئك هم اجداد هؤلاء الذين يحملون اليوم ذات اللواء في قتل المجاهدين والمناضلين.

الم يقولوا عندما رأوا بعض الحركات الاسلامية، تتخذ مواقف الهجوم الحسينية ضدالانظمة اليزيدية،...قالوا انهم (و يعنون الثائرين في سبيل الله) يورطون انفسهم!

وعندما وقع الثائرون في قبضة الطاغوت واودعوا السجن الم يقولوا :

«الم نقل انهم يورطون انفسهم!».

وهكذا يقومون باسقاط المجاهدين من اعين الناس، بل ولا يتورع بعضهم عن اتهام الثائرين بالغباء وسوء الفهم والادراك، ويوصمونهم في تقواهم وعقيدتهم.

ان الطاغوت يعتقل ويسجن ويعذب ويقتل، الّا ان اصحاب منطق اذانة القتيل!! يفسرون كل اعماله بأن الثائرين «ورطوا انفسهم» كأنهم يقولون:

السجين هو الذي جاء برجل الى السجن!

والمحروم هو الذي قال للطاغوت احرمني!

والحق ـ ان اصحاب المواقف هذه يعانون من التباس داخلي في انفسهم، و«نظاراتهم» مقلوبة على عيونهم، فتظهر الحياة مقلوبة في عقولهم، ورؤيتهم.

وان منطق ادانة الضحية وتبرير موقف القاتل، ليس منطقاً حديثاً، فقد تعرض له الامام الحسين (ع) في حياته وبعد شهادته .

و لكن هل منعه ذلك من الاستمرار في ثورته؟

كلا.. فقد سار الى ارض كربلاء، وصنع ملحمة البطولة والفداء، هذا في حياته، اما بعد شهادته فقد خط لنا رؤية واضحة في الجهاد، و هي ان لانتبع منطق ادانة الضحية و تبرئة القاتل.

* * *

في يوم القيامة، سيحشر الطاغوت، والثائر.. والقاتل والقتيل، و ستكون انت،وغيرت من الناس ترى هل ستقف مع الطاغوت ام مع الضحية؟ مع الجلاد ام مع القتيل؟

لاريب ان الذين يحملون منطق ادانة الضحية و تبرئة الطاغوت، سيكونون في

صف الطاغوت في يوم القيامة ايضا.

و انت اليوم تستطيع ان تحدد موقفك في ذلك اليوم العصيب، فان وقفت مع الثائرين و في صف انصار الامام الحسين(ع)، كنت معهم يوم القيامة.

و ان انحزت الى الطاغوت، و سلطت اللسان اللاذع على المجاهدين في سبيل الله، و برأت الطاغوت من اعماله، فانك لن تجد مكانا يوم القيامة، الا في صف الطاغوت، وساء ذلك مصيرا.

هذا جزاء اصحاب منطق ادانة الضحية يوم القيامة اما مصيرهم اليوم، فهل تظنون انهم سينجون من سياط الطاغوت؟

انهم يظنون ان في ادانتهم المؤمنين سلماً لنيل الراحة من سياط الطاغوت، و ان ذلك جسر لنيل رضى الطاغوت، الاّ انه ساء مايحكمون، و كانوا قوماً بورا.

ان الجلاد الذي يمتص دماء الناس، لايشبع منها، فيلتهم ماحوله حتى يصل الى مساعديه، والظالم الذي تعود الظلم وادمن عليه، عندما يصل الى حد اخفاء اخر صوت يشهر في وجهه المعارضة، ينتقل الى الذين من حوله، فيقتلهم بظلمه.

والظلم اذا انتشر في بلاد فانه، يغطي الجميع، الساكت والناطق، والقائم والقاعد، والثائر، والخانع... ولن يسلم المتملقون من سياطه و ان طال المدى.

والتاريخ يؤكد لنا هذه الحقيقة.

ان كل الذين تقاعسوا عن نصرة الحق، وكل الذين برأوا الجلاد، و ادانوا الضحية وقعوا في قبضة الجلاد نفسه و صاروا طعمة لسيفه.

فالذين تخاذلوا عن نصرة مسلم بن عقيل في الكوفة، و تركوا لابن زياد فرصة القضاء عليه، هؤلاء قتلوا فيما بعد بسيف ابن زياد نفسه.

و ذات التجربة تتكرر اليوم، فكل الذين رفعوا صداما الى سدة الحكم في العراق، حز صدام رؤوسهم، و تفرد بالحكم والحزب وحده.

اذن...

لايحسبن الذين يبررون للطاغوت اعماله، و يدينون الثائرين، انهم بمفازة من سيف الطاغوت. والاعظم من ذلك، ان جهنم مأوا هم و بئس المصير.

في طريقه الى كربلاء التقى الامام الحسين، بالفرزدق، و كان الاخير قادما من الكوفة، فسأله الامام

«كيف تركت الناس خلفك»؟ فاجاب:

– «ياابا عبدالله! ان الناس قلوبهم معك، و سيوفهم عليك»

هؤلاء الناس، والذين يمثلون جزءا كبير من المجتمع الذي عايشه الامام الحسين عليه السلام، لم يجدهم حبهم القلبي للامام الحسين شيئا، بل على العكس من ذلك، فقد استحقوا لعنة الناس في الدنيا و عذاب الله في الاخرة.

ذلك انهم اعتبروا انفسهم في البدء، معفيين من الوقوف الى جانب الامام الحسين(ع) ضد الطاغية يزيد، واكتفوا بالحب القلبي فقط.

الا ان الحب القلبي الذي لايدعمه العمل، يزول امام الضغط، ولذلك رأينا كيف انهم ارتكبوا الخطيئة الكبرى، امام ضغط ابن زياد.

لقد اقدموا على قتل الامام الحسين(ع)، الذي احبوه و عشقوه، و اي ذل اكبر من ان يستل الانسان سيفه ليقتل من يحبه، تحت ضغط الاعداء؟!

هذه فئة اخرى قد تعيش في كل المجتمعات، تحب طرفا ولا تعمل له، فتجبر في يوم ما على مقاتلته.

و هي ضمن الفئة الثانية التي ذكرناها، الفئة اللاابالية، والتي تريد ان تعيش باي ثمن، و قد تحب شيئا الا ان هذا الشئ ينتهي عندما يتعلق الامر بحياتهم، وعيشهم.

هم معك ان كان ذلك يدر عليهم رغدا، و ان كان الامر يتطلب الوقوف ضد بطونهم و فروجهم، فانت في طريق و هم في آخر، ولعل دموعهم تتساقط عليك حينما يودعوك و اذا وصل الامر الى ان يحاربوك في سبيل رغدة فيما يصل الى بطونهم و فروجهم فسوف يفعلون.

ان الذين يسعون وراء الدنيا، و كل همهم هو الحفاظ عليها هم الذين يقفون من الرسالة، موقف اللاامبالاة.

و قد يتسائل الانسان، كيف نعرف هذه الفئة، حتى لانكون منها؟

انها ليست بعيدة عنا، و قد تعيش معنا في الدار، و قد تكون انت واحدا من هذه الفئة، الفئة التي أحبت الامام الحسين(ع) ثم اضطرت امام ضغط الدنيا الى محاربته، و قد تكون انت احد قيادي هذه الفئة... الآ انك لم تكتشف نفسك حيث لم تمحص بالبلاء بعد... هذه الفئة هم:

• التاجر الذي يرى تجارته فوق قيمه و مبادئه، فليس من المهم عنده ان يسجن

الطاغوت ابناء الناس... كما ليس مهما عنده ان يقتل الثائرون، ولا ان يطرد المؤمنون، ولا ان يقضى الفاسقون على الدين في البلاد... و كل مايهمه ان تبقى تجارته، وان غمست بذل الركوع لهذا الواع الفاسد، و شربت بالعبودية لهذا السلطان الجائر و ذاك.

* والطالب الذي يرى دراسته فوق مبادئه، فليس مهما بالنسبة اليه ان يخضع لقوانين الطاغوت، وليس مهماً بالنسبة اليه ان يعتقل زملائه «الذين يقولون ربنا الله»... و اي شيئ اخر ليس مهما، و ان طلب منه ان يصبح جاسوسا على زملائه في الدراسة فلايرفض ذلك... المهم ان يكمل دراسته، و يرجع الى اهله مسرورا و هو يحمل شهادة الدراسة العليا... وليذهب الاخرون الى الجحيم!

* و كذلك الموظف الذي يرى الوظيفة اولا. ثم المبادئ...، والفلاح الذي يرى الارض قبل الرسالة، واي انسان في اي عمل يرى عمله فوق الرسالة، و ان كان حفارا للمقابر!

ان مجتمعا كهذا– تاجره– طالبه– موظفه– يبحثون عن المعيشة وهمهم الاكل والراحة.

ان هذا المجتمع هوالذي يقتل فيه الامام الحسين عطشانا، و يمثل بجثته الطاهرة.

و ما قيمة الدنيا التي يجعلها هؤلاء فوق المبادئ و فوق الدين والقيم؟

و هل سيحملون منها شيئا الى قبورهم؟

ان الدنيا زائلة لامحالة، والموت آت لاريب فيه، والتمحيص يوم القيامة، فلماذا نجعل دنيانا فوق ديننا، و اولانا فوق اخرتنا؟

ولقد قال الامام علي عليه السلام، واصفا هذه الدنيا:

«مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها، والسم الناقع في جوفها، يهوى اليها الجاهل و يحذرها ذواللب العاقل»

و قال رسول الله (ص) بشان الذي يجعل هدف دراسته الدنيا، و هو مثل لكل الذين يجعلون مصالحهم فوق دينهم:

«ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا الا ازداد في نفسه عظمة و على الناس استطالة، و بالله اغترارا و من ا لدين جفاء. فذلك الذي لاينفع بالعلم، وليمسك عن الحجة على نفسه، والندامة والخزي يوم القيامة.

اذن ماقيمة العلم الذي يجني منه الانسان النار، و غضب الجبار، و ما قيمة

دراسة تكون فيما بعد مكسبا اضافيا الى حكم الطاغوت؟

ان الدنيا قيمتها ـ لدى المؤمن ـ بمقدار ماتكون مطية للاخرة.

يقول الامام علي(ع):

«الدنيا دار ممر الى دار مقر، والناس فيها رجلان:

«رجل باع فيها نفسه فاوبقها، و رجل ابتاع نفسه فاعتقها».

اما الامام الحسين عليه السلام فيقول:

«اما الدنيا فقد ادبرت، و اذنت بوداع، ولم يبق منها الاصبابة كصبابة الاناء او خسيس عيش كالمرعى الوبيل».

فهل تستحق الصبابة ان يتقاتل الناس عليها، او يقتلون امام زمانهم. ! من اجل الحصول عليها...؟

***

ان هنالك بعض من المؤمنين، يصلون بافضل صلاة، و يحجون في كل عام، و يؤدون الخمس في ميعاده دون تأخير، و يتصدقون ايضا على الفقراء والمحتاجين، الا ان شيئا واحدا فقط، لايريدون تحديد موقفهم منه الا و هو: «الصراع بين الحق والباطل»

فهم يتخذون موقفا محايدا من ذلك فلا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، انهم اصحاب مقولة:

«الحسين سلطان، و يزيد سلطان، ولادخل لنا بين السلاطين»

و يقولون...

«أنا نصلي، و نصوم، و نؤدي كل عباداتنا على احسن وجه والحمدلله. ولابد ان ندخل الجنة وليس بالضرورة نحن مكلفون باكثر من ذلك»

لهؤلاء نقول...

لا...

ان الواجب الاجتماعي، فوق الواجب الفردي، و ان الله سبحانه و تعالى لم يأمر بصلاة منفصلة عن الناس، و اذا كان الناس يعانون من جور النظام الفاسد المحارب للدين والقيم، و كانت هنالك فئة من الناس تحمل لواء القيم السماوية، فلابد ان تتخذ موقفا معها، والافانت محسوب على النظام، لان مجرد السكوت يعني اعطاء قوة له، و اضافة واحد الى رصيده، و اضعاف لرصيد فئة الحق بذات المقدار.

وقد جاء في الحديث:

«الساكت عن الحق شيطان اخرس».

ولاقيمة لصلاة لا تامر بالتقوى، ولا تنهى عن المنكر، واي تقوى واي معروف اكبر من ان يدعم الانسان الجبهة التي تعمل لاقامة الحق وازهاق الباطل، واي منكر اكبر من السكوت على نظام يقتل المؤمنين، و يزج بالثائرين في السجون؟!

و قد يخاف هؤلاء، ان يؤثر موقفهم مع الحق، على معيشتهم فتنقطع ارزاقهم، و هذا ليس واردا ابدا في منطق الحياة، يقول الامام علي عليه السلام:

«الا وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقربان اجلا، ولايقطعان رزقا».

و اساسا، فان الغاية من العبادات الفردية، هو خلق الروح الاجتماعية، التي تدفع الانسان لتأييد الحق، و مجابهة الباطل.

و قد جاء عن الامام علي عليه السلام، بشأن المقايسة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمسؤولية اجتماعية مع الصلاة والصيام كمسؤولية فردية، قوله:

«ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر افضل من عامة الصلاة والصيام»

و قال في آخر وصية له، و كان قد جمع بنيه و اهل بيته:

«اوصيكما، و جميع ولدي، و من بلغه كتابي هذا:

«بتقوى الله، وان لا تبغيا الدنيا و ان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها زوي عنكما... كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا».

فقد اوصانا الامام علي، باتخاذ موقف تجاه الظالم والمظلوم، قبل ان يوصينا بالصلاة والصيام وهي التي تأتي بعد ذلك في وصيته عليه السلام.

***

الفئة الثالثة، التي تتخذ موقفا من ثورة الامام الحسين، هي الفئة التي عرفت الحياة: مسؤولية، والدين: رسالة لابد من الالتزام بتعاليمها.

. رأت هذه الفئة انها مسؤولة عن اوضاعها، و عليها اتخاذ مواقف محددة، بوحي من الله تجاه هذه الاوضاع.

و بمجرد ان عرفت ان يزيد سارق للخلافة الاسلامية و غاصب لمنصب امامة المسلمين، اشرأبت اعناقها، تتطلع الى اوامر القيادة الرسالية، ماذا تأمر؟!

ينقل الرواة ان الامام الحسين عليه السلام، ارسل رسالة بنص واحد الى رؤساء الأخماس بالبصرة، يستنهضهم لنصرته والاخذ بحقه و قد كتب الى الاشراف، و كان

بينهم يزيد بن مسعود النهشلي.

واستجاب الزعيم الكبير يزيدبن مسعود لنداء الامام و قام الى تلبية نداء الحق فاندفع بوحي من ايمانه و عقيدته الى نصرة الامام، فعقد مؤتمرا عاما دعا فيه القبائل العربية الموالية له وهي:

١ــ بنوتميم.

٢ــ بنوحنظلة.

٣ــ بنوسعد.

ولما اجتمعت هذه القبائل انبرى خطيبا، فوجه خطابه اولا الى بني تميم، و عرف مواقفهم الموافقة على نصرة الامام الحسين، فسره ذلك منهم، و قد القى فيهم خطابا رائعا، ذكر فيه الامام الحسين (ع) با حسن ما يذكر، ثم ذكر يزيد بما يستحق...

ولما انتهى من خطابه انبرى وجهاء بني حنظلة فاظهروا الدعم الكامل له، وللامام الحسين(ع).

و اما بنوسعد فاظهروا التردد وعدم الرغبة فيما دعاهم اليه، و ساءه تخاذلهم فاندفع يندد بهم قائلا:

«لئن فعلتموها لارفع الله السيف عنكم ابدا، ولازال سيفكم فيكم»...

ثم رفع رسالة للامام عليه السلام، اوضح فيها استعداده و قبيلة بني تميم و قبيلة بني حنظلة لنصرته.

و يقول بعض المؤرخين انها انتهت الى الامام الحسين في اليوم العاشر من المحرم، بعد مقتل اصحابه و اهل بيته، و هو وحيد فريد قد احاطت به القوى الغادرة، فلما قرأ الرسالة قال:

«امنك الله من الخوف، و ارواك يوم العطش الاكبر»

هذا الرجل كان طلائعي هذه الفئة، و رغم انه لم يشارك في كربلاء، الا انه كان على اهبة الاستعداد لخوض المعركة مع الامام الحسين(ع)، و كل ما كان ينتظره وصول رسالة من الامام اليه

لقد عرف ان الدين كما هو صلاة و صيام، فهو ثورة و قيام ايضا.

و اليوم فان الثورة الاسلامية تحتاج الى رجال من هذه الفئة، تدعم جبهة الحق في قبال جبهة الباطل.

و ليس المطلوب من المؤيدين للثائرين ان يتظاهروا في الشوارع لاعلان هذه التاييد،

و انما المطلوب ان يحمل كل انسان جانبا من جوانب خيمة الثورة.

فعلى التاجر ان يؤيد الثورة بماله، و على العالم ان يؤيدها بكلمته لدفع الناس، للانخراط في صفوف الثوار، و على الشاب ان يدفع من «جسمه» للثورة، مسترخصا كل مايملك من قوة و نشاط في سبيل الاسلام.

و هكذا... كل انسان لابد و ان يكون له موقف تجاه معركة الحق مع الباطل، سواء كان هذا الموقف مباشرة في مواجهة السلطة، ام من وراء الستار.

و لعل اسهل موقف يستطيع ان يقوم به كل انسان لخدمة الثورة، ان ينشر اخبار الثوار الحسنة، و ان يتحول الى وكالة اعلام للثورة.

اذن... لابد ان يتخذ الانسان موقفا ايجابيا تجاه الثائرين لا ان يكون محايدا، فيدعم السلطة الظالمة بسكوته و صمته.

و لقد ادان القرآن الكريم اولئك الذين آذوا نبي اللّه موسى بكلماتهم، بدل ان يؤيدوه.

يقول تعالى:

«يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا، و كان عندالله وجيها، يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا، يصلح لكم اعمالكم، و يغفر لكم ذنوبكم، و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما»

***



الفصل الخامس

الامام الحسين
منهج ثوري متكامل



... وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله ...

الامام الحسين (ع)

بيننا و بين معركة عاشوراء.. عشرات المعارك ، و مئات الحروب..

و بعضها معارك طاحنة.. كما ان كثيرا من الحروب كانت طويلة، و قاسية، من بينها الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية، وغيرها من الوف المعارك التي شهدتها هذه الارض بين بنى آدم..

الا ان معركة الامام الحسين(ع) مع اعدائه، تميزت بانها بقيت خالدة في آثارها، تعطي للناس رغم مرور الأزمان، روح الايمان والمقاومة و تعبئ المؤمنين في مواجهة قوى الكفر والضلال..

فاذا بنا خلال عشرة محرم نتحول الى ثوار، رغم انوفنا، فنترك بيوتنا، واهالينا، و نتجمع في مراكز التوجيه والتوعية، في المساجد والتكايا لنستمع الى الخطباء و هم يتحدثون عن احداث عاشوراء و كأنها وقعت امس، فنتفاعل مع هذه الاحداث و كاننا نعيش في يوم عاشوراء..

ترى.. ماذا تثير فينا ذكرى الحسين؟

و كيف تستدر دموعنا غزارا، من سرد قصص المآسي التي تعرض لها اهل البيت ـع ـ فى كربلاء؟

ما الذي يدفع بالمؤمنين خلال شهرى محرم و صفر الى ان يتركوا الافراح والاعراس، و يلبسوا السواد مشاركة منهم لاحزان آل محمد(ص)؟.

و ما الذي يجعل الارض خلال فترة الذكرى، تتحرك باسم الحسين(ع) فكأنّ كل شيء فيها يقول– مع القائلين: يا حسين.. يا حسين!؟.

ان الحسين(ع) قتل مع كل اصحابه في عام ٦١ ﻫ من الهجرة، ولم يمض قرن من الزمن حتى وقف أبوالعلاء المعري– و هو شاعر مكفوف –و تطلع الى الأفق قائلا:

و على الأفق من دماء الشهيدين علي و نجله شاهدان
فهما في اوائل الصبح فجران و في اخر لياته شفقان

ان الاعمى يبصر دم الحسين، و كثير من المسلمين، حينما ينظرون الى الأفق، يتذكرون قطرات التي اريقت في كربلاء قبل اكثر من الف عام و سؤال هو: لماذا؟

* * *

الامام الحسين قضيتان.. قضية حق مضيّع، و قضية جسد مقطع.. اما قضية الجسد المقطع فانتهت، و دخل الحسين في جنات الله و هو سيدالشهداء و سيد شباب اهل الجنة.

ولكن قضية «الحق المضيع» هي القضية الباقية، و من هنا فكل محروم يبحث عن سيده، و كل مستضعف يبحث عن مأوى و كل مطرود عن البلاد، و كل سجين، و كل معتقل، و كل معذب يبحث عن امام و قدوة ليستلهم منه الدروس ولايجد افضل من الامام الحسين معلما و هاديا و مرشدا..

و هنا يمكن السر في حب الناس له فهم يرون في الامام مبادءهم و شخصيتهم و كرامتهم، و عزتهم و من هنا فان من لايملك حسينا في قلبه لايملك كرامة في حياته، و يضيع نفسه و يبيعها بسهولة، كما ان الذي لايكتشف البطولات المتجسدة في ابطال كربلاء، لايتذوق طعم البطولة حيث لم يعرف الابطال.

و هكذا فان الامام الحسين ليس فرداً، بل هو مشروع، و ليس شخصا بل هو منهج.. و ابعاد قضية الامام الحسين و ثورته المقدسة تعطي اجابات دقيقة، و تفصيلية عن مجموعة من الاسئلة التي تحاصر الثوريين بين فترة و اخرى.. و سنحاول هنا طرحها و استلهام الجواب عليها من ثورة الحسين(ع).

السؤال الاول: ماذا نفعل ان لم نجد استجابة جماهيرية؟ و هل الجماهير تسبق عملية تفجير الثورة ام الثورة تستبق عملية تفجير الجماهير؟.

انك تريد ان تتحرك، و تفجر ثورة عميقة في المجتمع، الا انك لاتجد من يصغى اليك، و لاتجد صدى لكلماتك في قلوب الناس فماذا تفعل؟ .

هل تنتظر لكي تتحرك الجماهير، و من ثم تقودهم..! ام تتحرك انت لكي تقود الجماهير؟.

و هذا التساؤل كثيراً ما يرمي الى الذين لايعرفون الامام الحسين، باليأس.. فانهم يقولون ماذا نفعل اذا لم يتحرك الناس ولم نجد اذناً صاغية؟ و «على من تقرع مزاميرك ياداود»؟!.

السؤال الثاني: ماذا لو وجد الثائرون انفسهم فجأة، امام ابواب مغلقة، فاذا بالمعادلات التي تحركوا ضمنها قد تبدلت، و اذا بحساباتهم لم تعطي الاجابات الصحيحة، لقد كانوا يحسبون حسابا معينا، ولكن الحسابات كلها اصبحت خاطئة، فماذا يفعلون؟

السؤال الثالث: في عملية المجابهة، و حينما تفاجئ بان عدوك اكثر منك قدرة على القتل والتدمير والنسف، هل تحاول انقاذ ماتبقى من اصحابك، و هل تحمل على ظهرك بعضا من مشاريعك و تهرب بها الى شاطئ الامان، و تقول: لماذا ننتحر؟ فلننقذ مايمكن انقاذه ام تواصل المسيرة وليكن مايكون!

هذه عينات من الاسئلة التي تحاصر الثوريين، بين فترة و اخرى، في حياتهم النضالية، و يبحثون عن الاجابة عليها.

و ثورة الامام الحسين اعطت الاجابات على تلك الاسئلة، و سنتحدث عن ذلك، الا انه من الضروري ان نذكر ثلاث حقائق، قبل ان نبدأ في الاجابة على هذه الاسئلة..

الحقيقة الاولى: ان علينا ان نفهم الحسين نموذجا يتكرر في اتباعه و مريديه، وان نفهمه معجزة حدثت مرة واحدة، و لن يرى الانسان لها مثيلا في هذه الارض، حتى فى صورة مصغرّة هكذا نفهم الامام الحسين، و هكذا اراد لنا النبي ان نفهمه حينما صرح في احاديث متواترة مختلفة: «حسين مني و انا من حسين»، «كلنا سفينة النجاة، و سفينة الحسين اوسع، كلنا سفينة النجاة و سفينة الحسين اسرع»، «الحسين مصباح الهدى، و سفينة النجاة»، «الحسن والحسين امامان قاما او قعدا».. «الحسن

والحسين ريحانتاي من الدنيا». «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة»، و بذلك اعطى رسول الله لنا القدوة التي لابد من محاولة الاقتداء بها، باعتبارها نموذجا لابد ان يتكرر في ازمان مختلفة، و اماكن متفاوتة..

وللحقيقة.. فان العدو فهم الامام الحسين كنموذج يتكرر، فقد جمع عبيدالله ابن زياد، لمقاتلة الامام الحسين مليون جندي ــ حسب بعض الروايات ــ و امر بالمنادي ان ينادي في مدينة الكوفة التي كان فيها على الاقل اربعة ملايين نسمة: ان برئت الذمة ممن لايخرج لقتال الحسين، فمن يستطيع ان يحمل السلاح، اي السيف فقط، او الرمح فقط، او النبل فقط، فلا بد ان يخرج لقتال الحسين و هكذا عبأ ابن زياد كل الناس في مدينة الكوفة، و هو يعرف ان جيش الامام صغير، لماذا؟ لانه اراد ان يورط كل الناس في عملية قتل الامام الحسين، لكي لايترك مجالا لاحد فيما بعد ليحاول الاقتداء بالحسين والطلب بثأره.

و تقول الروايات: ان شابا امسك به في مدينة الكوفة، لم يكن قد خرج لقتال الحسين، فأتوا به الى عبيدالله بن زياد، فقال له هذا الاخير: لماذا لم تخرج لقتال الحسين؟

قال: اصلح الله الامير، الاعرف حسينا، و اضاف: انا رجل من اهل الشام، ولي دين على رجل من اهل الكوفة، و انما جئت لكي استوفي ديني و مالي.

فقال ابن زياد لجلاوزته: اقتلوه، و انصبوا را سه على بوابة مسجد الكوفة، تنكيلا لغيره.

فالذي لايعرف امر وآلي الكوفة، ولا يعرف الحسين ولم يخرج، قتل فكيف بالذي عرف و سمع؟؟

و استطاع ابن زياد ان يعبئ ــ حسب بعض الروايات ــ قرابة مليون جندي، لمقاتلة الامام الحسين ملأوا المسافة من كربلاء الى الكوفة، من هنا: فان الامام الحسين حينما كان يهجم عليهم كانت مؤخرة الجيش تصل الى الكوفة، كما ان الصحراء كانت ممتلئة بالرماح والسيوف، حتى ان الرائي كان من بعيد يراها مثل غابة من نخيل!

بينما كان عدد كل جيش الامام الحسين خمسة واربعين راجلا، و ستة و ثلاثين فارسا فقط، و في معركة كربلاء قتل كل الرجال والاولاد، ماعدى علي بن

الحسين زين العابدين.

و بعد مقتل الامام الحسين، امروا بالخيل ان تدوس جسدالامام... لماذا؟!

لكي لايبقى من الامام الحسين جسد، فلا يصنع له قبر، ولا ترتفع له راية، و يتناثر لحمه في الارض، ولا تدل عليه شاهدة وفاة.

و من هنا نعرف، لماذا قامت زينب — بعد سبيها — برمي نفسها من على الناقة الى الارض، و هي صارخة تبحث عن جسد بلا راس، لتقول: هذا جسد ابي عبدالله، فقط لكي تدل على قبره و تمنع من انهدام علامات شهادته.

* * *

الحقيقة الثانية: ان اولئك الذين احبوا الامام الحسين ولكنهم، لم يخرجوا لنصرة الحسين خوفا من القتل او السجن او مصادرة الاموال لم ينجوا من ذلك ومن هنا فقد حدثت مجزرة في الكوفة، و استباحة المدينة.

و الامام الحسين(ع)، كان قد كتب رسالة من سطر واحد، الى كل اقربائه و بني هاشم، حينما خرج من المدينة المنورة، جاء فيها: انه من لحق بنا، فاز، و من لم يلحق لم يبلغ الفتح.

لقد استنجد بهم الامام لنصرته، لكنهم لم يستجيبوا، واستبيحت المدينة لمدة ثلاثة ايام، و هتكت اعراض الف عذراء من بنات المسلمين و قتل جمع كثير من صحابة النبي(ص).

كل هذا يكشف عن حقيقة هامة جدا ، و هي ان من يخاف الموت لا يستطيع المروب منه.

فحينما تحجم جماعات من الناس عن نصرة الحق، في الصراع مع الباطل، فانها ستضطر لدفع الثمن على ذلك.. ان عاجلا او آجلا..

الم يتكرر هذاالمثال في لبنان، لاولئك الذين خرجوا خوفا من الموت، اوالذين لم يقاوموا؟ ماذا فعل الاسرائيليون بهم؟ الم يقتلوا منهم خمسة الاف؟ الم يحرقوا جثثهم؟ الم تتكرر الحادثة مرة اخرى؟ والا يعني ذلك، ان من لايقتدي بالامام الحسين(ع)، فلايحتضن الموت، و هو كريم عزيز، فان الموت يتخطفه و هو لئيم وذليل؟ واليس الامام الحسين، و ثورته، ثورة و قضية تتكرر؟

* * *

الحقيقة الثالثة: ان الامام الحسين لم يكن متورطا في قضيته، بل كان ثائرا فيها..

و كانت لثورته مرحلتان:

المرحلة الأولى ــ المرحلة السلبية.

المرحلة الثانية ــ المرحلة الايجابية.

و لقد امتدت المرحلة الاولى، من بداية موت معاو ية بن ابي سفيان، حيث رفض الامام الحسين(ع) و هو في المدينة، اعطاء البيعة ليز يد بن معاو ية، و امتدت الى يوم الترو ية في مكة المكرمة، حيث بدأ الامام مرحلة اخرى من ثورته.

و في المرحلة الاولى، كان الامام رافضا، لاي حل بينه و بين يز يد، و قد قام اكثر من وسيط بمحاولة تقريب و جهات النظر، و على الاقل فرض الحياد على الامام، و لكنه كان يرفض ذلك.

كان الامام في هذه المرحلة، يرفع «لا» عر يضة، في وجه النظام اليز يدي الحاكم..

اما في المرحلة الثانية، فان الامام الحسين ــ بدأ هجوما ثور يا على النظام، حيث احل من احرامه و اعلن الخروج ضد يز يد، فقام خطيبا في مكة عشية مغادرتها باتجاه الكوفة و قال:

الحمدلله و ماشاءالله، ولاقوة الابالله، و صلى الله على رسوله.. خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة، و ما اولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، و خير لي مصرع انا لاقيه، كاني باوصالي تقطعها عسلان الفنوات بين النواو يس و كربلاء فيملأن مني اكراشا جوفا، و اجربة سغبا، لامحيص عن يوم خط بالقلم، رضاالله رضانا اهل البيت، نصبر على بلائه و يوفينا اجور الصابر ين. لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، و ينجز بهم وعده.. الا و من كان فينا باذلا مهجته، موطنا على لقاءالله نفسه، فليرحل معنا فاني راحل مصبحا انشاءالله تعالى.»

و هكذا هاجر الامام من مكة باتجاه الكوفة، ليس خوفا من الموت، بل بحثا عنه، وليس تجنباً للمجابة، بل اختيارا لموقعها، فالامام رفض ان يجر لمعركة لم يختر زمانها او مكانها، فله «مصرع هو لاقيه» و هو ليس في مكة، بل في كربلاء.

و بهذه الحركة، بدأ الامام المرحلة الاولى رافضا، ولكنه في المرحلة الثانية كان مبادرا، يمتلك زمام الموقف، و قد قام الامام بحركات علىٰ و تيرة سريعة من الايقاع، حيث أرسل منذ تلك اللحظات رسله الى زعماء المسلمين في البصرة، والري.. وارسل مسلم بن عقيل الى الكوفة، ثم تتابعت رسائله اليه.. و خرج هو ايضا باتجاه كربلاء..

* * *

و بعد توضيح هذه الحقائق من ثورة الامام الحسين(ع) نعود للاجابة على الاسئلة السابقة.. و نقول اذا لم يجد الثائرون استجابة جماهيرية لثورتهم.. فان واجبهم ان يثوروا— ليس في وجه الطاغوت فحسب— بل في ضمائرالناس ايضا.

فما دام ان الجماهير لا تستجيب لنداءات الثورة، فان ذلك يعني ان الخلل في الضمير الجماعي الرادع.

لقد اوضح الامام الحسين(ع) هذه الحقيقة حينما قال:

«الا ترون الى الحق لايعمل به، والى الباطل لايتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا»..

فما دام ان الحق لايعمل به، والباطل لايتناهى عنه، فهذا يعني ان ركام الخوف، والرعب او التكاسل، يرين على قلوب الناس، و يمنع ضمائرهم من الاستجابة..

اذن.. فان الناس بحاجة الى عملية تفجيرية، في داخلهم، يعيد اليهم النقاء، و التوتر تجاه الحق.. و من هنا نجد ان الامام الحسين(ع) اختار موقعا متوسطا تقريبا، بين المدينة، والشام، والكوفة، لتنتشر اخبار ثورته في كل العواصم المؤثرة.. آنئذ، فالحسين(ع) لم يكن يريد تغيير نفسية يزيد بن معاوية، او عبيدالله بن زياد.. بل كان يريد... تغيير ضمائرالناس..

و لهذا ايضا اختار الامام تلك الطريقة المأساوية لمقتله، حتى يهز كل من يسمع عنه، و عن استشهاده، و اعطى في ثورته دروسا في البسالة، والصمود تكفي لالوف الاجيال من بعده..

و من هنا، ايضا فان ثورة الامام الحسين(ع) اصبحت.. صاعقا لكل الثورات التحررية، والاصلاحية فى الامة الاسلامية.

وتـوالـت مـن بـعد عاشوراء، الثورات المقدسة، التي كانت تستهدف الاصلاح الـثوري، والـتغـيير الاجـتـماعي، كما حدث بعد فترة تغيير كبير في الدولة الاسلامية، اودى بالحكم الاموي الى السقوط..

و انـه لم تمض ست سنوات حتى كان قتلة الامام مقيدين في الاصفاد يتلقون جزاءهم العادل، على ايدي الثائرين. من اصحاب المختار الثقفي.

و تحـول شعار «يالثارات الحسين»، بيرقا في كل ثورة، و راية، في كل تحرك جماهـيـري اصلاحي... ان الامام الحسين(ع) واجه جبروت الطاغوت بكبرياء الدم كما واجـه صـمـت الجماهير بسلاح الاستشهاد و من هنا فقد كثّف الامام الحسين من احـاديث الـشهادة، والمطالبة بالثورة، و واضح ان الامام لم يكن يتحدث في ذلك مع الاعداء.. ولامع الشهداء.. بل كان يتحدث مع ضمائرالناس..

فـالحـسين(ع) اعتبر اعدائه امواتا، منذ صباح عاشوراء، حينما نظر اليهم، و هم ملأالصحراء و بكى.!

فسألته اخته زينب، مم بكاؤك يا اباعبدالله؟

فأجاب: ابكي لدخول هؤلاء النار بسببي..

لقد كان يائسا منهم الا انه لم يكن يائسا من الاجيال القادمة.

و هـكـذا فـان الجـمـاهير اذا سكـتـت، فـهـي بحـاجـة الى عـمـلية ثورية في ضمائرهم.

و الامـام الحـسين(ع) احدث هذه الثورة، في زمانه، ولايزال يحدثها في زماننا، و على مرالعصور..

لـقـد كـان الامـام في الثالثة و الستين من عمره المبارك و كلما فعله، كان نابعاً من ايمان عميق بضرورته ولم يكن ابداً مندفعا بعاطفة الشباب...

و رغـم ان الامام كان يريد تشكيل حكومة اسلامية، على انقاض حكم يزيد، الاّ ان احتمال نجاح الامام كان غيروارد لدى اي عاقل...

فـالـناس، كانوا قد خضعوا لعملية غسيل مخ استمرت اكثرمن ربع قرن.. كما ان اجـهـزت الـدولة كانت خاضعة تماما ليزيد.. و قد اخذت البيعة من الناس مرتين، مـرة في عـهـد ابـيـه و اخـرى بـعـد موته.. و كل ولاة ابيه، كانوا مرتبطين به مصيريا.. فكيف كان من الممكن نجاح ثورة على دولة لم تزل فتية بعد..؟

الآ ان الامام كان بثورته يحدد الهدف الذي على الجماهير السعي لتحقيقه، و تفجير الثورات من اجله.. و هو تصحيح المسار الاسلامي، بعد تعرضه للانحراف.. و تنقية الثورة الاسلامية بعد أن تعرضت للتحريف.. و العودة الى اصول الاسلام، بعد ان تعرضت للتزييف و لهذا فان الامام الحسين(ع) كان يريد ان يُقتل و كان في استطاعته في اي لحظة ان يتخلص من الموت و لكنه لم يفعل...

فهو يريد الموت الذي يفجر البطولة، و هو يريد الاستشهاد الذي يهز الضمائر..

و تلك هي الثورة المطلوبة، حينما يفقد الثائرون التأييد الجماهيري المطلوب.

ماذا لو وجد الثائر، فجأة، الابواب مغلقة امامه؟

لقد ارسل الامام الحسين عليه السلام ممثله الى الكوفة، و رسالة مفصلة يطلب فيها من الناس ان يعاملوه معاملة القائد حتى يأتي اليهم..

و كما يبدو من رسائل الامام، و تحركاته فانه قد بنى مخططا كاملا لعملية ثورية ضخمة..

الآ ان الذي حدث هو ان ممثل الامام في الكوفة قتل.. كما ان بعض من ارسل اليه رسائله لم يتسجيبوا له و قسم كبير من الذين خرجوا معه، خانوه و تراجعوا عنه..

و هكذا اصبحت الثورة تواجه خطرا حقيقيا.. الآ ان الامام لم يتراجع..

لماذا؟

لأن الثائر ليس هو الذي يصمم على الثورة، بدون ان يضع في حسابه، انه سيواجه الخطر..

فالثورة تعني اقتحام الاخطار.. ولا توجد ثورة بلا مصاعب، كما لايوجد انتصار بلا تضحيات.

الا ان الثائر الحقيقي هو الذي يقتحم على الموت معاقله.. و يتجاوز حاجز الرهبة منه..

فالموت جبان..

و من يهرب منه، يتعقبه.. بينما من يهجم عليه يخاف منه..

ترى.. اليس الحسين عليه السلام اذن: منهجا ثوريا متكاملا؟



الفصل السادس

المواقف البطولية في ثورة الامام الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

(صدق اللّٰه العظيم)

البطولة ليست شعارا يرفع، او كلمة تقال.

و هي ليست و ساما، يلصقه الانسان على كتفه، فيصبح بطلا.

انما البطولة، مواقف يصنعها الانسان بنفسه.

و نظريا... فان كل انسان يتمنى، ان يكون بطلا، الا ان ما تتطلبه البطولة تدفعه للهرب منها في وسط الطريق.

و قد يظن البعض ان البطولة تعني المغامرة، ولكن المغامرة ليست من البطولة في شيء.

انما البطولة ان يقدم الانسان على عمل يخشاه كل الناس، و يرونه امرا لايُطاق، ولايكون هذا الاقدام عبثيا و انما يكون اقداماً لامر حضاري يتطلبه الموقف في حينه.

لذلك فقد قامت الكثير من الثورات، و نشبت الكثير من المعارك، ولكن القليل من المعارك هذه استطاعت ان تعكس مواقف بطولية، عند بعض الأطراف.

بينما نجد ان معركة كربلاء، هي في طليعة المعارك التي رسمت للناس البطولة، فارتقت بذلك اعلى سلم الثورات «البطلة» في التاريخ...

فأين البطولة في هذه الثورة؟

ان للامام الحسين (عليه السلام) و اصحابه مواقف يوم عاشوراء تتجاوز مجرد

الحرب و هذه المواقف هي التي صنعت منه البطل، و خلدّت اصحابه الابطال، فبقوا على مرّ التاريخ والاجيال، ينيرون الطريق للسالكين.

ولابد لنا ان نفهم تلك المواقف، و نحاول ان نقلد الامام فيها، حتى نكون بالفعل من انصاره، و المستجيبين لندائه الذي طالما كرره يوم عاشوراء و هو:

«هل من ناصر ينصرنا»؟

* * *

الموت، هو مصدر خوف الأنسان الحقيقي...

و كل خوف ينتهي الى الخوف من الموت: فالانسان انما يخاف من المرض، لان المرض قد يؤدي به الى الموت، و يخاف ايضا من الفقر لان الفقر يحملُ الجوع، والجوع يقد يقرب إلى الموت.

و حتى ان امتناع بعض الناس عن نصرة الحق، انما هو نابع عن اعتقاد خاطىء منهم، ان نصرة الحق ستودي الى السجن، او مطاردة اهل الباطل لهم، و من ثم... الموت..!

ترى: هذا الشبح الذي يرتجف منه الناس خوفا، كيف كان موقف الامام الحسين منه؟

لقد كان موقف الامام الحسين من الموت يوم عاشوراء، موقف العاشقين له و الباحثين عنه، اذ عانق الموت ساخنا، باعتباره اقصر الطرق للقاء بجده رسول الله، في جنان الله الواسعات.

ان نظرة الامام الحسين الى الموت، كانت كانتقاله من الشمس الى الظل، ــ كما يعبر عنه الحديث ــ الشريف، أو كانتقاله من السجن الى الحرية.

يقول الحديث الشريف:

«الدنيا سجن المؤمن، و جنة الكافر»

ان الذين يؤمنون بالغيب لايخافون من الموت، اذ يرون الجنة من ورائه، و يرون الموت وسيلة لنقلهم الى الرفيق الاعلى...

اما الذين يخافون من الموت، فهم الذين لايؤمنون بالله و اليوم الاخر، و من هنا فالموت بالنسبة اليهم يعتبر نهاية، او بداية للشقاء الابدي.

الم يكن الامام الحسين(ع) يكرر قول الشاعر:

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما؟

أولم يقل عندما سقط على رمضاء كربلاء؟

«بسم الله و بالله، و على ملة رسول الله... الحمدلله... هكذا القى الله مخضبا بدمي مغصوبا حقي».

تماما كما قال ابوه الامام علي بن ابي طالب(ع) من قبل عندما ضربه ابن ملجم بالسيف على رأسه في مسجد الكوفة:

«فزت و رب الكعبة، قتلني ابن اليهودية»!

فالشهادة اكرومة يمن الله بها على من اراد من خاصة اوليائه، فالقتل لهم «عادة و كرامتهم من الله الشهادة»... و في رؤية الامام الحسين(ع) فان الشهيد لايسقط على الارض، بل يسقط في احضان حورالعين، و ما من انسان الا و يحاسب في القبر، على كل كلمة قالها، و كل فعل قام به، الا الشهيد فلا يحاسب على اعماله و اقواله. و مامن انسان يموت الا و يقبض ملك الموت روحه، الا الشهيد فان الله هو الذي يقبض روحه.

هذه رؤية الامام الحسين عن الموت، و هذه فلسفة الشهادة في سبيل الله... في نظره ـ ع ـ فلماذا الخوف؟

ان الانسان الذي يعيش حياته لله، يموت في سبيل الله، والذي يصرم حياته خدمة للطاغوت، يموت في سبيل الطاغوت ايضا، و الفرق بين موتة في سبيل الله و موتة في سبيل الطاغوت هو الفرق بين الحق و الباطل، و النور و الظلمات، و الجنة والنار!

* * *

ثم ان الموت موتان:

موت ياتي اليك، و موت تذهب اليه.

فاذا جاء الموت اليك، فهو موت الجبن، والضعف والاستسلام...

اما الموت الذي تذهب اليه، و تفتش عنه، و تعانقه، فهو موت البطولة...

و في كربلاء، حيث عانق الحسين و اصحابه اسنة الرماح، وحد السيف، و دفعوا ارواحهم ضريبة التمسك بالحق والعدل والحرية، من اجل الله، و من اجل

تحرير الجماهير التي تحكم فيهم الجور المستند على الاستغلال، كان الموت موت البطولة...

لان الابطال هناك هم الذين فتشوا عنه، وحينما وقعوا على الارض كانت راية العدالة تخفق على قبورهم، فصنعوا من كربلاء... ارض الشهادة.

كما صنعوا من عاشوراء معركة البطولة!

* * *

هل كانت للامام الحسين عاطفة؟ و هل كان قلبه يخفق لمن يحبه؟

نعم... فهو كأي انسان كان يحب اهل بيته و اخوانه و اصدقائه.

و كان حبه اكثر لابنه علي الاكبر، اذ كان اشبه الناس برسول الله، و قد قال عنه حينما اذن له بمبارزة العدو:

«اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فانه قد خرج اليهم اشبه الناس خلقا و خلقا و منطقا برسولك، وكنا اذا اشتقنا الى رسول الله نظرنا اليه... اللهم امنع عنهم قطر السماء، و فرقهم تفريقا، و مزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا...»

الا ان هذا الحب، كان حبا في سبيل الله، لذلك فقد كان علي الاكبر اول شهيد سقط من بني هاشم، لكي يقول الامام الحسين عليه السلام عمليا:

«انا انسان واحب ولدي، الا ان حبي لله اكثر من حبي لولدي، لذا اقدمه قربانا لله»

فكان بذلك مصداقا لقوله تعالى:

«والذين امنوا اشد حبا لله»

و كان من عادة الامام ــ كلما سقط شهيد على الارض في معركة كربلاء ــ ان يأتي اليه ــ رغم اخطار هذه العملية ــ لكي يكون عنده لدى موته.

و كانت عملية الحضور من شخص الامام، رمزاً منه لتلك الرابطة الايمانية التي تربط القائد بجنوده في الاسلام.

و كان حضوره في زيارة الشهيد، يقتصر لحظات يقفها عند رأسه، ثم يعود الى خيمة القيادة، لان ضراوة المعارك لم تكن تسمح له باكثر من ذلك.

الا ان الحضور رافقه «شيء» اخر من الامام تجاه ابنه علي الاكبر..

فعندما سقط جاء له ثم انحنى عليه، ووضع خده المبارك على خده، تماما

كما كان رسول الله يضع خده المبارك على خده هو، يوم ان كان طفلا يلعب في حضنه.

و كان وضع الخد تعبيرا منه ــ عليه السلام ــ عن تمنيه بان يكون هو المقتول بدل ابنه...

و ذات الموقف تكرر منه يوم عاشوراء مع شهيد آخر.

فمن كان هذا الشهيد؟.

ــ عبد تركي، كان ملكا للحسين، تعلّم عنده اللغة العربية، و قراءة القرآن.

و قد نال هذا العبد، ما ناله علي الأكبر تماماً...

فما قصة ذلك؟

في صباح يوم عاشوراء: شوهد عبدٌ تركي في ساحة المعركة، و هو ينظر يميناً و شمالاً كأنه لايصدق ما يرى.

انه يعرف مولاه جيداً.

ولكن اجتمع كل اولئك على قتاله؟

كم هو بشع أن يصبح الانسان و قوداً لنار أحقاد الآخرين.

انطلق ــ بلا سابق انذار ــ نحو المعركة، و كان يصيح ــ و هو يلوّح بالسيف الذي في يده:

البحر من طعني و ضربي يصطلي	و الجو من سهمي و نبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي	ينشق قلب الحاسد المبجلِ

كان يهاجم يميناً و شمالاً.. و يقتل... و يقتل... و يقتل.

حاصرته مجموعة من قوات العدو.

و بعد لحظات كان صريعاً على الأرض. لم يقل «يا عماه» و لا «يا أبتاه» ولا «يا أخاه» لأنه كان غريباً عن أهله لا أب له، ولاعم، ولا أخ في كربلاء.

غير ان الإمام لم ينتظر منه التفاتة لكي يذهب اليه قبل موته.

فقد ظل يراقب تحركه بنفسه، حتى إذا أحس انه سقط، سارع الى مصرعه مع بعض الجنود.

نزل عن الفرس... و انحنى...

و وضع خده المبارك على خده الذي كان منقعاً بالدم.

فأحس العبد بحرارة خد الامام.

فتح العبد عينه: رأى جبهة الامام و هي تلامس جبهته... فرح... تبسّم... و مات!

* * *

ما اسم هذا العبد؟

اين ولد؟

كيف جاء الى كربلاء؟

لايذكر التاريخ شيئاً من ذلك. فهو عبد مجهول، عرّفت به الشهادة من أجل الله، والحق، و خلّده الامام الحسين الذي وضع على خده... ذات يوم...

فما اروع بطولة الامام، و ما اروع بطولة هذا العبد.

فلقد رسم لنا الامام خطارساليا في الثورة... هو:

«ان ثورة الاسلام، لاطبقية، و لا عنصرية، المبادئ هي التي ترفع الافراد او تحط بهم.

لافرق فيها بين العبد الاسود الغريب، والابن الذي يشبه رسول الله... فقيمة الفرد فيما يعطيه، و فيما هو مستمر في عطائه، وليس في نسبه، او منظره او ارومته.

* * *

و هناك نموذج آخر للبطولة... انه نموذج الحر بن يزيد الرياحي... هذا الرجل الذى.

كان يمكن ان يصبح «لعنة التاريخ» في معركة عاشوراء.

فهو أول من وقف في وجه الإمام.

و اول من هدّده بالحرب.

و اول من طالبه ان يضع يده في يد يزيد...

و كان السبب المباشر لحبس الإمام في صحراء كربلاء حتى يجتمع عليه جيش الكوفة الضخم.

إذن... كان يمكن ان يصبح اللعنة الاولى، لولا انه ثار في الوقت المناسب علي... ذاته...

ان الثورة تشتعل، اول ما تشتعل، في «نفس» الانسان ثم تمتد الى المجتمع...

فالصفات التي يجب توفرها في الثائر، تتطلب ان يكون في حالة ثورة داخلية لكي يستطيع تحمل آلام الثورة على النظام، و الواقع الفاسد.

ان الثائر يجب أن لايحمل نقاط ضعف في ذاته.

يجب ان لايكون عبداً لشهوة الجنس. أو شهوة الطمع، أو شهوة السلطة، أو حتى شهوة الحياة. بل لابد ان يكون متحرراً من كل ذلك حتى يملك مرونة التحرك، والقدرة على تغيير الموقف.

ولكن التخلص من سلطان الشهوات، ليس سهلاً، و لهذا فان الثائرين الحقيقيين ليسوا كثيرين. انهم قلة، ولكنها القلة التي تحمل مشاعل الدرب لمن يريد أن يصنع الخير لامته.

و كان هذا الشهيد من القلة.

كان ضابطاً في الجيش، يعيش تحت أو امره الف جندي فارس...

حرج من الكوفة مع لواء كامل، و هدفه ان يجبر الإمام على البيعة ليزيد، أو يأخذه إلى الكوفة عند عبيد الله بن زياد بعد ان خدعه النظام بشرعية خلافة يزيد ابن معاوية.

و ظل محتفظاً برتبته كضابط كبير في الجيش حتى صباح يوم عاشوراء — ٦١/١/١٠ هـ — حين اصطف كل من جيش الإمام، و جيش ابن سعد استعداداً للقتال.

هو كان من الطليعة فى جيش ابن زياد الذي واجه الإمام و منعه من العودة الى مكة، او المسير الى اي مكان آخر حتى يبايع يزيد.

و الآن، حيث جاءت الأوامر صريحة و مشددة بقتل الإمام و كافة من معه، او يبايعوا يزيد، فان ضمير الرجل بدأ يتململ.

ماذا؟ ايقتل الحسين و كل من معه؟

و لماذا يقتل الحسين؟

هل ارتكب جريمة لأنه رفض النظام القائم؟

و هل رفض النظام الفاسد يتطلب القتل؟

لقد اصبح الرجل واعياً لما ارتكبه... مدركاً لابعاده... فهو السبب في وقوع الإمام محاصرا بين الجيش المعادي.

وله دور كبير في الجريمة فاستيقظ ضميره. و بدأت المعركة.

ان المعارك قد تكون عنيفة، ولكن ليست هنالك معركة اعنف من معركة «الذات» و «الضمير» انها توجع، و تهز، وتصيب الانسان بقشعريرة حادة.

لقد وجد الرجل نفسه في معركة مع الضمير. و تمثلت امامه بشاعة الوزر الذي سيحمله إذا ما قتل الحسين و كل من معه.

فاهتز... وارتجف.

* * *

نظر الى الجيش الضخم الذي كان يملأ الصحراء، و كله الحاد و شرارة، و جهل.

و نظر إلى الجيش الصغير الآخر الذي كان قوامه اقل من مائة جندي، و كله ايمان، و عزم، و وعي.

و الحرب التي ستقع بينهما، من مشعل الفتيل فيها؟

انه هو...

و احس بالاثم.

فكر ان يقوم ببعض المساعي الحميدة، لعله ينقذ الموقف. جاء الى خيمة القيادة، وقف امام قائد القوات: عمر بن سعد، و جرى بينهما الحوار التالي:

ــ أمقاتل أنت هذا الرجل؟

ــ اي واللّه، قتالاً ايسره ان تطيح الأيدي، و تسقط الرؤوس.

ــ مالكم فيما عرض عليكم من خصال، تتركونه يرجع الى حيث أتى. أو يضرب في الأرض العريضة؟

ــ لو كان الأمر بيدي لفعلت... ولكن اميرك ابن زياد يأبى ذلك...

و كلمة «اميرك» ــ التي استعملها قائد القوات ــ كانت تعني ان الأمر «من فوق» و انك انت ايضاً احد المعنيين به.

و لقد كان في استطاعة الرجل ان ينهي معركته الداخلية و يستريح على الجريمة، مادامت الاوامر من فوق، و المأمور ــ كما يقول المجرمون الصغار ــ معذور!

كان بامكانه ان ينساق مع منطق قائد القوات...

«لوكان الامر بيدي لفعلت ولكن اميرك يأبى». كما يقول كل صناع الجريمة في العالم من قوات الشرطة، و البوليس و الجنود الغزاة.

إلا ان ضمير الرجل لم يكن مسحوقاً الى هذه الدرجة فتبرير «الأمر من فوق» لم يستطع اسكاته بسهولة.

«الأمر من فوق» وليكن من فوق؟

اميرك ابن زياد هو الذي يأبى... من اين جاء اميري؟

و لماذا علي ان اطيعه؟

ان عمر بن سعد يريد ان يدخل جهنم، فلما ذا اسير معه.

ظل سادراً في التفكير، و اخذته ــ نتيجة الحوار الساخن مع الذات ــ رعشة حادة ــ اثارت دهشة احد رفاقه في الجريمة، فبادره.

ــ ان امرك لمريب... فوالله لو سئلت عن اشجع اهل الكوفة لما عدوتك... فماذا اصابك؟

فأجابه بجواب مقتضب لم يفهم الرجل مغزاه...

ــ اني ارى نفسي مخيرة بين الجنة والنار. فوالله لا اختار على الجنة شيئاً، و ان قطعت و مزقت.

و بذلك انتصر على ذاته في اقوى نوازع الشهوة، و هي نازعة الحياة، و حقق ثورة على الذات.

و لما انتصر في هذه الثورة، اصبح بإمكانه ان يثور في وجه الطغيان.

لقد اصبح طليقاً لا تقيده سوى قناعته. و اصبح بإمكانه ان يتصرف حسبما يمليه ضميره.

و هكذا... اتخذ قرار الانضمام إلى صفوف الثورة...

فضرب فرسه باتجاه نهر الفرات ــ ليموه الامر على جنوده ــ ثم لف نحو معسكر الإمام، و هو يبكي من شدة الفرح، و الألم، ألم الماضي.. و فرح الحاضر.

لقد انتصرت فيه «الحرية» و يتحمل الآن مسؤولية نفسه بعيداً عن تدبير الأوامر من فوق.

و عندما اقترب من خيمة الإمام كان ينادي:

ـ اللهم اليك أنبت. فتب عليّ، فقد ارعبت قلوب اوليائك واولاد نبيك.

و عندما وقف امام خيمة الإمام، كان رأسه منحنياً على سرج فرسه.. فبادره الإمام:

ـ من انت؟

ـ انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، و سايرتك في الطريق، و جعجعت بك في هذا المكان.

و أضاف: ـ والله ـ الذي لا إله إلا هو ـ ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضته عليهم، و لايبلغون بك هذه المنزلة، و اني ـ جعلت فداك ـ قد جئتك تائباً الى الله مما كان مني. فهل ترى لي من توبة؟

و كان جواب الحسين ـ ع ـ نعم يتوب الله عليك ... فانت الحر في الدنيا، و انت الحر في الآخرة انشاءالله.

و هدأت روعة «الحربن يزيد الرياحي» فقد انتصر في معركة الذات، و ها هو يقف مع الله و الحق و الحرية في معسكر الإمام، و تخلص من قرار الجريمة.

و لكن... بقي عليه ان يكفر عن جريمته.

فماذا يصنع؟

* * *

ان الحديث النبوي الشريف يقول: «إذا عملت سيئة، فأعمل حسنة تمحوها».

و هو قد «عمل السيئة» و كانت سيئته كبيرة جداً، لأنها تسببت في محاصرة جيش الكوفة للامام.

فهو يتحمل عار قتل الإمام، اذا قُتل!

و العار لايغسله غير الدم. و مادام ان الجريمة كبيرة، فلا بد ان يكون «التكفير» بحجمه.

و لهذا فقد بادر الإمام، و عيناه مغروزتان في رمال الأرض...

ـ يابن رسول الله... كنت أول خارج عليك، فأذن لي ان أكون أول قتيل بين يديك، فلعلي اكون ممن يصافح جدك محمداً غدا؟

ـ افعل ان شئت... فانت ممن تاب الله عليه و هو التواب الرحيم.

لحظات... و بعدها كان «الحر» يقف امام الجيش الذي تمرد عليه.

و اندهش الجنود الذين كانوا إلى قبل لحظات جزءاً من اللواء الذي يقوده.

وقف في وسط الساحة، و ضرب برمحه في الرمال، ثم اتكأ عليه، و صاح فيهم.

ـــ لأمكم الهبل و العبر.

«ادعوتم هذا العبد الصالح، حتى إذا جاءكم اسلتموه؟ و زعمتم أنكم قاتلوا انفسكم دونه. ثم عدوتم عليه لتقتلوه: أمسكتم بنفسه، و أخذتم بكلكله، و أحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في ايديكم، لا يملك لنفسه نفعاً ولايدفع عنها ضراً... و حلأتموه «منعتموه» و نسائه، و صبيته عن ماء الفرات الجاري ـــ تشربه اليهود و النصارى والمجوس و تمرغ فيه خنازير السواد و كلابه ـــ و هاهم صرعى العطش؟

«بئسما خلفتم محمداً فى ذريته... لا سقاكم الله يوم الضمأ ان لم تتوبوا و تنزعوا عما انتم عليه من يومكم هذا و من ساعتكم هذه...»

و كانت خطبته هذه نداءاً للتمرد على جيش العدو... لأنه جيش لاضمير له... يدعو الإمام لكي يديز نظام حياته و عندما يلبيه يعدو عليه ليقاتله.

و قد وجد «نداء التمرد» هذا من يتأثر به... فها هو ابن «الحر» يهرب من صفوف العدو، و يلتحق بأبيه... ولكن العدو لايتركه، بل يحيط به، و يدخل معه في معركة عنيفة بالسلاح الأبيض.

حاول الحر أن يعين ابنه على العدو، ولكنه عندما هزم المجموعة التي أحاطت به، كان ابنه جثة بلا حراك. فنظر اليه بفرح و قال:

ـــ الحمدلله الذي رزقك الشهادة...

و هنا... تحرك وجدان رجل آخر ـــ كان يخص الحر أيضاً ـــ و هو أخوه، فعندما رأى مقتل ابن أخيه، و تمرده على الجريمة، انتفض ضميره، فهز فرسه، و انطلق باتجاه «الحر».

كانت المجموعة التي قتلت ابن ـــ الحر ـ قد عادت لتطويق «الحر» نفسه، و مع هجوم أخيه ـــ و كان قد جرد سيفه و رفع درعه ـــ ظنت المجموعة انه ينوي مقاتلة «الحر» فتركوا له المجال، لكي يتقاتل الاخوان فيما بينهم.

و في لحظة رائعة من لحظات الايمان، و فيما كان الجيش ينتظر ان يمزق سيف أحدهما جسم الآخر ــ التقى الاخوان فرفعا سيفيهما في السماء. و تعانقا بحرارة، كأنهما يحتفلان بالحرية، و هما يتمردان على أوامر الأمير.

ثم بدءا معاً الهجوم المعاكس.

و سقط «الحر».

و سقط أخوه..شهيدين فى سبيل الله.

و لما حملوا جسم الحر إلى الإمام ــ و كان لايزال به رمق ــ أخذ الإمام يمسح الدم و التراب من وجهه، و يقول له:

ــ ما اخطأت امك إذ سمتك حراً. انت الحر في الدنيا... و انت الحر في الآخرة.

* * *

هل انتهت بطولة الرجل؟

لا...

فالبطولة «تسرى» و تصيب الذين تكون نفوسهم مستعدة لها.

و ها هو «عبد» الحر ــ واسمه عروة ــ تسري فيه بطولة مولاه، فيتخذ قراره بالتمرد على الجريمة، غير انه لم يكن في الصفوف الأمامية ليستطيع الالتحاق بالإمام. فاكتفى بأن جرد سيفه، و أخذ يضرب يميناً و شمالاً مما أحدث ارتباكاً في صفوف الجيش. حتى اتهمه بالجنون، و صاحوا.

ــ لقد جن الرجل... ألزموه... اضربوه...

و استمر «عروة» يقاتل... و يقتل... و يمدح الإمام فاحتوشوه من كل جانب، و قتلوه.

و هكذا...

غسلوا عار الخطيئة بالدم.

* * *

و هنا قصة اخرى من قصص البطولة... و فى الحقيقة فان الأهم من قصة الثورة: قصة رجالها، و الاهم من قصة رجالها: قصة أخلاقهم.

فليس مهما انهم قاتلوا... و قتلوا. و انما المهم: انهم قاتلوا بأخلاق الانبياء بينما قتلهم العدو بطريقة الوحوش.

وفي كل ساعات المعركة كانوا ينازلون مع العدو نزال «الصعدة بالنزلة». كلما سقط العدو في الحيوانية ارتفعواهم في المناقبية.

و كتبوا بمواقفهم: قائمة بصفات المقاتل المسلم: لماذا يحارب؟ و كيف؟

* * *

عندما نظم الإمام صفوف الثوّار. سلّم البيرق الى أخيه من أبيه «أبي الفضل العباس». و بذلك فرض عليه أن يكون آخر من ينزل الى المعركة. لأن البيرق يجب ان يرفرف حتى آخر رجل.

كان عمره يومئذ خمساً و اربعين عاماً. و كان غاية في الرشاقة و الجمال، حتى أن رفاقة أعطوه لقب «قمر بني هاشم» فلم يكن أجمل منه في العائلة كلها.

كان له دور رئيس الأركان في كل مراحل الثورة. فكان هو المعني بتنظيم حركة القتال، و تشغيل الثوار. و معالجة امورهم. كما كان هو المعنى بقضايا النساء و الأطفال.

و بقي مع الامام طيلة ساعات الحرب. لم يفارقه لحظة، ولم يبتعد عنه إلا لحاجات ضرورية.

و عندما انتهى كل رجال الثورة، و تحولوا من مقاتلين إلى جثث موزعة على رمال الأرض، اشترك في هجوم مزدوج على العدو: هو هاجم على ميمنة العدو، بينما الحسين هاجم على ميسرة العدو...

ثم رجعا الى مقر القيادة...

و هنا حاول ان يحصل على اذن من الإمام بخوض معركةالشرف لينال الشهادة، ولكن الإمام رفض.

كان الامام قائده، فكان عليه ان يلتزم بالأوامر.. بعد فترة طلب مرة اخرى من الامام الاذن. و قال فيما قال:

ــ اخي: لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، و اريد ان آخذ ثاري منهم.

و ألح على الامام.

فقال له الامام:

ــ ان كان ولابدّ، فأطلب لهؤلاء الأطفال و النسوة ماء...

فخرج العباس يفكر في طريقة الوصول الى نهر الفرات. كان النهر محاطاً بأربعة آلاف جندي انتشروا حوله. فكان عليه ان يسلك طريقاً فرعياً من بين النخيل ليضمن الوصول الى الماء...

ولكن كيف يُغفل العدو؟

جاء الى الميدان، و صاح في قائد الجيش:

ــ يا عمر بن سعد... هذا الحسين ابن بنت رسول اللّه قد قتلتم أصحابه، و أهل بيته، و هؤلاء عياله و اولاده عطاشى، فأسقوهم من الماء، فقد أحرق الضمأ قلوبهم.

فجاءه الجواب:

ــ يابن أبي تراب... لوكان وجه الأرض كله ماء و هو تحت ايدينا لما سقيناكم منه قطرة الا ان تدخلوا في بيعة يزيد..!

و مع طلب الماء، اراد أن يفهم العدو انهم آيسين من الحصول عليه عن طريق استعمال السيف. و بذلك ضمن اخفاء خطته للحصول على الماء.

و بعد ذلك، خرج من وراء الخيام، و سلك طريقاً فرعياً ضيقاً بين النخيل، و فاجأ القوة المرابطة على النهر بهجوم صاعق شنه عليهم من وراء ظهورهم. فانكشفوا، و دخل نهر الفرات.

و بسرعة ملأ القربة التي كان يحملها.

ثم مدّ كفيه، و ملأهما بالماء، و قرّبه من فمه، و كاد أن يشرب. و لكنه تذكر...

تذكر عطش أخيه القائد. و تذكر عطش النساء و الأطفال.

فرمى الماء، و قفل راجعاً. و كان ينشد:

يا نفس من بعد الحسين هوني	و بعده لا كنت ان تكوني
هذا حسين شارب المنون	و تشربين بارد المعين
تاللّه ما هذا فعال ديني	و لافعال صادق اليقين

انه لم يشرب وفاء للقائد، و مواساة للصغار

ولكن ماذا لو كان يشرب؟

تـا اللّـه مـا هذا فعال ديني و لا فعال صادق اليقيني ولم يشرب من الماء وفاء للقائد، و مواساة مع الصغار، ولكن ماذا لوكان شرب؟

حتماً لم يكن يحدث شيء. ولكن اسماك النهر لم تكن تشهد له ــ بعد ذلك ــ بعظمة الأخلاق. ولاكان الانسان يذكره كأعظم مقاتل عرفه تاريخ الوفاء.

ان الـتـزامـه بـدينه، و قناعته بمناقبية القتال دفعته الى ان يخرج من النهر كما دخل: عطشاناً الى حد بعيد.

لم يـفـكـر كـثيراً في ان يشرب. فقد تحوَّل همه في أن يوصل القربة إلى خيام الامام...

كان يلف حول النخيل، و يدور حولها، و هو يحاول التخفي من العدو.

و لـكـن كـثـرة جـنـود الـعـدو، منعته من الانفلات فقد حاصروه بين مجموعة نخيل. و دخلوا معه في المعركة.

فأنشد يقول:

لا أرهــب المــوت إذا المــوت رقــا حتى اوارى في المـصـالـيـت لـقـا

نـفـسي لـنـفـس المصطفى الطهر وقا اني أنـا الـعـبـاس اغـدوا بـالـسقا

ولا اخاف الشر يوم الملتـقى

كانت معركته معهم معركة الشرف مع النذالة. معركة الحق مع الباطل. معركة الرجولة مع الجبن. و التناقض الذي كان بين موقفه و موقف العدو كان يثير الانتباه:

فالعباس كان يطلب الماء للأطفال. و هم كانوا يطلبون البيعة للنظام!

و هـو كـان يحارب لأجـل الـعـدل و قيم الحق. و هم كانوا يحاربون الأجل الحطام.

المهم: انه كان يقاتل. و يزأر و يتقدم...

غير أن الـعـدو كـمـن له من وراء النخيل، و بطريقة غادرة قطع أحدهم يده اليمنى من الكتف فالتقط السيف باليسار و بدأ يلاحقهم.

و كان ينشد:

و اللّـه إن قـطـعـتـمـوا يميني اني احــامــي أبــداً عــن ديني

و عــن إمــام صــادق الـيـقـين سـبـط الـنـبي الـطـاهـر الأمين!

و هـذه مـنـطـلقاته: انه لايحامي عن العشيرة. ولاعن المصلحة. و لاعن الدنيا

كلها، و انما يحامي عن دينه.

و انه لايدافع عن الأخ، و انما يندافع عن الامام القائد، الواعي، الصادق اليقين.

و مادام انه يحامي عن الشريعة، والقيادة، فهو لن يلين بقطع يمينه، و سيظل يقاتل... و يقاتل... و يقاتل.

و ظل يدور حول نفسه.

و يضرب بالسيف.

و يتقدم...

و مرة اخرى كمنوا له وراء نخلة، و اسقطوا هذه المرة يده اليسرى من الزند.

فالتفت الى القربة. رآها لاتزال سليمة، فحطها على قربوس الفرس، بينما امسك عنقها بأسنانه.

و كان ينشد:

يا نفس لا تخشي من الكفارِ	و أبشري بنعمة الجبار
قد قطعوا ببغيهم يساري	فأصلهم يارب حرّ النار!

لم يُصب العباس باليأس رغم انهم قطعوا يديه. ولكنه كان يعرف انه ليس بعيداً عن الشهادة. و لذلك كان يبشر نفسه:

«بنعمة الجبار».

انه مطمئن إلى نعمة الله، لانه يقاتل الظالمين، فهو اذن يدافع عن العدالة. ولابد ان تناله «نعمة» الله العادل في الحياة.

كانت يداه تنزفان دماً ... ولكنه لم يكن يحس بها، لانه كان يريد الوصول في اقرب وقت إلى الخيام. و كان أمله في القربة التي يحملها مشدوداً بحبل القربة الذي كان معلقاً على رقبته.

ولكن هذا الأمل لم يدم طويلاً، فقد رماه العدو بالسهام، و اصاب القربة سهم، واريق الماء...

و هنا توقف العباس... و أحس بالآم يديه. احس ان كل قطعة من جسمه تؤلمه...

كان الماء ينشف في رمال الأرض بينما كان صوت اطفال الامام يرتفع:

العطش، العطش. الماء، الماء.

.. و فيما كان واقفاً مدهوشاً مما حدث، جاءه عمود على رأسه، و أصابه سهم في عينه. وطعنه جندي في ظهره، فسقط على الأرض.

و سقط معه البيرق.

كان الامام آنذاك يراقب تحركات العباس من خلال رأس البيرق الذي كان يدور بين النخيل، و لما سقط البيرق عرف الامام حقيقة ما حدث، فأسرع إلى مصرعه.

ولكن عندما وصل كان العباس يجود بنفسه. فسمع صوت قادم: ظنه العدو جاء ليحتز رأسه، لان عينه اليمنى كانت ممزقة بسهم، و عينه اليسرى كانت ممتلئة بالدم، فقال:

ــ يا هذا.. بالله عليك أمهلني حتى اودّع أخي!.

و مع الدموع أجابه الامام:

ــ فداك اخوك .... انا اخوك ...

و رمى بنفسه على الأرض، و حاول أن يحمله إلى الخيام ليموت إلى جنب اخوته، و بني عمه. ولكنه التمس الامام أن يتركه حيث هو. و لما سأله الامام عن السبب قال:

ــ اخي.. لقد وعدت سكينة و الأطفال بالماء و لا اريد ان يروني فيتذكروا الوعد...! و طارت روحه الى الجنة.

* * *

يقول شهود عيان: «ان بيرق الحسين لما حمل إلى يزيد، و نشروه أمامه لم يجد فيه موضعاً سالماً من السهام، إلا موضع قبضة الكف التي كانت تمسك به».

و لما سئل يزيد: من كان يحمل لواء الحسين، فقيل له العباس. قال:

ــ ابيت اللعن يا أبا الفضل... هكذا يصنع الأخ لأخيه!

* * *

لقد سئل الامام الحسين عليه، عن سر حمله للنساء معه الى كربلاء؟

فقال: شاء الله ان يراهن سبايا!

ترى هل كان الامام متعمدا لاذاقة نسائه و اخواته و بناته السبي، ام ان في

المسألة امرأ آخر؟

يبدو ان الامام الحسين اراد ان يؤكد، ان المرأة الضعيفة التي كانت طعمة للوأد في الجاهلية القديمة، والجاهلية الحديثة، ان هذه المرأة بامكانها ايضا ان تصنع البطولة، و ان تقاوم الظلم و تقض مضاجع الظالمين.

و قد اراد ان يقول:

ان لكل ثورة جانبين، جانب الرسالة، وجانب الدم، و قد قدم الحسين: الدم، بينما حملت المرأة: الرسالة .

و المرأة ـ اية امرأة ـ باستطاعتها ان تتحمل مسؤولية الكلمة، كما قامت بذلك زينب(ع)، بل ان باستطاعة المرأة ان تتحول الى «وزارة اعلام» للثائرين.

و قد اراد ان يقول ايضا:

ان الثورة من واجب الرجال، الا ان انتهاءهم يجب ان لايعني توقف الثورة، و انما استمرارها عبر النساء.

لذا فان مهمته ـ عليه السلام ـ قد انتهت في اليوم العاشر من محرم عند ما سقط على بوغاء كربلاء، لتبدأ مباشرة مسؤولية زينب ـ عليها السلام ـ في الثورة.

و ان هذه الرؤية الثورية، تعطينا درسا في التحرك الثوري ضد الطغاة، فالثورة لا تتوقف ابدا، و اذا دخل الثائر السجن، او استشهد فان اكمال مسيرة الثورة، ينتقل الى كتف أمه اوزوجته أو اخته، او ابنته...

لقد قتل من اخوة زينب ثمانية عشر، و قتل اولادها الأربعة ايضا، و حينما سقط الامام الحسين(ع) و هجم العدو على المخيم، و احرق الخيام على من فيها، و سحقوا خمسين طفلا و طفلة من عائلة الامام الحسين(ع) فان زينب ـ ع ـ لم تستسلم بل بقيت شامخة كالطود، فهي لم تتحمل على كتفها مسؤولية الأسرى و الاطفال فحسب، و انما حملت رسالة الدماء التي اريقت في كربلاء ايضا.

ان اول ما كان يريده العدو بعد قتله ـ للامام الحسين ـ ع ـ، اخفاء الامام جسدا و قضية، و لقد سحقوا جثة الامام بحوافر خيلهم، لكي تتناثر اعضاء الامام، و لايبقى لها اثر، ولايقام لها قبر فيختفي قبر الامام و من ثم قضيته.

و عرفت زينب(ع) ما يرمي له العدو، فجاءت تمر على جثث الشهداء، حتى وصلت الى الجثمان الشريف لسيد الشهداء، فرمت بنفسها على بقايا الجثمان،

لتعلن للتاريخ: آن هاهنا سقط ابو عبدالله الحسين ـ ع ـ، و هنا موضع قبره، و هنا راية الثورة!

ثم قالت بقوة الابطال، موجهة خطابها الى معسكر ابن سعد الذي بلغ نشوة الانتصار:

«ولينصبن على قبر ابي عبدالله علم، وليجتهدن ائمة الضلال على طمسه، فلا يزداد الا انتشارا..».

هذا هو الدور البطولي الكبير الذي قامت به سيدة النساء زينب(ع)، في لحظة تاريخية حالكة، فاستطاعت بذلك ان ترفع راية الثورة على مر الاجيال، و ان تفوت على يزيد و جلاوزته، اكبر مؤامرة كادت ان تحدث في التاريخ، ضد قضية الشهيد.

و ليس هذا فحسب، بل و انها و اخواتها، سجلن في كل بقعة انتشر فيها النظام القاتل، ادانة لهذا النظام.

ولو لم تكن تسبى هذه النسوة الطاهرات، لأمكن القول ان الثورة كانت تخنق في كربلاء حينها، و كانت ستصل مشوشة للناس فيما بعد.

لكن السبي سمح لحاملات رسالة عاشوراء، ان ينشرن القضية حية، كما حدثت يوم عاشوراء، و بذلك استطعن ان يوجهن الضربات القاضية، لنظام يزيد، و نشر رسالة الثورة.

ولهذا حمل الامام الحسين عائلته معه، و من اجل ان تعرف كل امرأة اليوم:

انها ليست خارج دائرة المسؤولية، و ان الزوجة، و الاخت، هن الذين صنعن الجانب المكمل لثورة عاشوراء... و عليهن اليوم تقع مسؤولية اكمال ثورات الرجال.

* * *

و ماذا ايضا عن المواقف البطولية للمرأة في عاشوراء؟

هنا صورتان للبطولة تتداخلان في بعضها، واحدة لطفل، و اخرى لامراة تربطها اصرة الامومة بهذا الطفل...

و طالما كانت القضية عادلة فان صفاء الروح يزداد اتساعا الى درجة ان تبحث هذه «الام» والتي لا تملك غير وليد واحد... تبحث عن قلادة الشهادة لكي تعلقها على جيده...

ترى.. ما اجمل ان يؤمن الانسان بقضية عادلة.

* * *

كان عمره: أقل من أحد عشر عاماً...

طوله: أقل من طول سيف مستقيم ــ إذا ركز على الأرض.

ملامحه... تحكي عن هدوء، و تصميم، و بطولة...

رأته بعض النساء، و هو يلبس الخوذة، و يحمل على ظهره السيف، و يمشي كالأبطال المنتصرين باتزان عظيم.

اقترب من إحداهن، و سألها: أين خيمة الحسين؟

كان الامام ــ حينئذ ــ داخل خيمة القيادة، يراقب سير المعارك ... فدلته المرأة اليه... و سرعان ما اختفى بين الخيام... بينما كانت المرأة تلاحقه بنظراتها.

ترى: ما ذا يريد من الحسين؟

هل سيطلب ماءاً؟

و ماذا سيقول له الحسين؟

إذا كان يريد الماء، فما معنى السيف الذي يتقلده، بينما هو يخط على الأرض خطوطاً عرجاء كأنها الأفعى؟

هل يريد أن يقلد الكبار في حمل السيف؟

بكل رباطة جأش دخل خيمة الامام... فضمه الحسين إلى صدره، و بادرة:

ــ ماذا تريد يا بني؟

ــ الاذن...

ــ الاذن؟ الاذن في ماذا؟

ــ أبا عبدالله... لقد قتل أبي في المعركة... و أريد أن أقاتل القوم، فأذن لي.

كانت نبراته هادئة... و كان تلهفه للحصول على رخصة الحرب شديداً، كأنه عريس يبحث عن غرفة الزفاف.

نظر اليه الامام طويلاً، فانزلقت عيناه إلى خديه الممتلئين دماء إلى قده، إلى السيف الذي بدا و كأنه أطول منه، إلى رجليه الحافيتين. ثم قال(ع) لمن حوله:

ــ هذا قتل أبوه في المعركة... و أخشى أن لا ترغب امه في القتال... و

لكنه بادر قائلاً:

ــ سيدي.. إن امي هي التي قلدتني حمائل سيفي... و أمرتني بذلك...

فامتلأت عينا الامام... بالدموع... و قال:

ــ بارك الله فيكم...

و اعتبرها الطفل اذنا له... فانحدر إلى الساحة مهرولاً...

و سمعة العسكر يقول ــ و هو يهجم على العدو:

أميري حسين و نعم الأمير.. سرور فؤاد البشير النذير..
له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير
علي و فاطمة والداه... فهل تعلمون له من نظير؟

* * *

هل كانت هذه الانشودة من صناعته؟

أم أن امه هي التي صنعتها... ثم حفظها هو؟

لم يعرف أحد...

إنما الذي عرفوه... ان هذا الطفل... حارب مثل الكبار... وردد انشودة الحرب من الكبار... و حتى موته جاء مثل موت الكبار...

فقد قطعوا رأسه... و رموا به إلى معسكر الإمام...

كأنهم بذلك أرادوا أن يحزنوا امه... أو ينكلون بها لكي تكون عبرة لبقية النساء.

و لكن الام كانت فوق أن يهد من عزيمتها رأس ابنها المقطوع...

إن إيمانها بعدالة قضيتها كان يزداد صفاءاً و هي تقدم هذا الطفل قرباناً على طريق الله و الحق... و العدل.

إن رأس ابنها المقطوع كان يعني لها: قنديل شهادة، و لذلك فانها امسكت بالرأس، و كان الدم لايزال يتدفق منه بحرارة، و أخذت تمسح عنه التراب و تقول:

ــ أحسنت يا نور عيني...

أحسنت يا سرور فؤادي...

ثم رمت به إلى جانب معسكر العدو... و حملت عموداً للخيمة، و انحدرت نحو الساحة و كانت تصيح:

أنـا عـجـوز في الـنـسـاء ضعيفة... خـاويـة... بـالـيـة... نحيفة...
أضـربـكـم بـضـربـة عـنـيفة... دون بـنـي فـاطـمـة الـشـريفة...

لما ذا رمت الرأس إلى معسكر العدو؟

— ربما لكي يعرفوا أن الايمان يصنع المعجزات... فيجعل الام تقاتل برأس وليدها... فى سبيل تحقيق إرادة الحق في الأرض...

و ربما لكي يحمل رأسه جنباً إلى جنب مع رؤوس الشهداء في كربلاء... إلى الكوفة و الشام، فيزداد مجده، و يرتفع قدره... و ربما لأنها كانت تريد أن تقول: أن الرأس الذي أهديته في سبيل الله لا أسترده.

* * *

و هكذا يصنع الايمان بالنفوس!

القسم الثاني

سيرة

عاشوراء



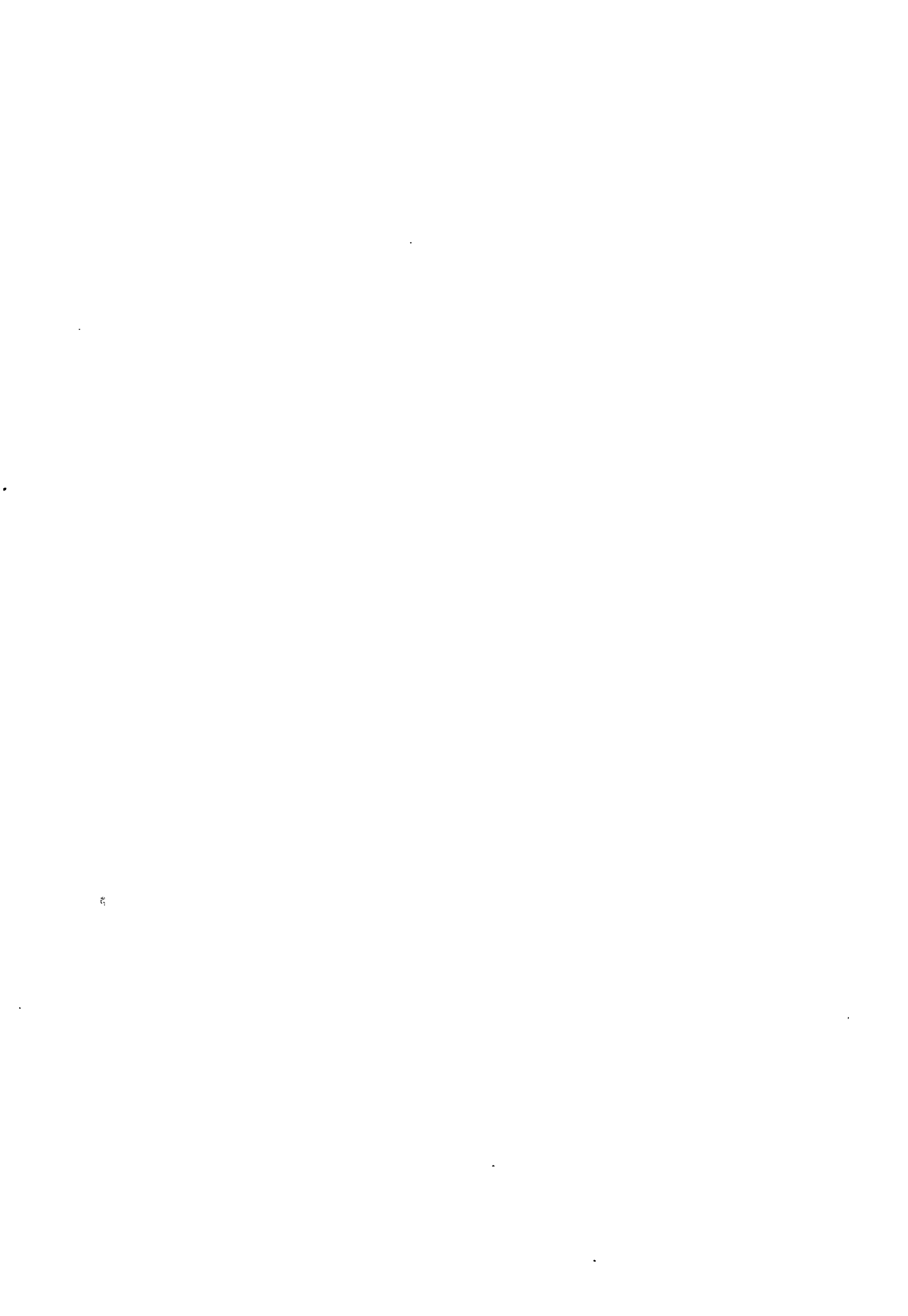
كانت عاشوراء حدثا من احداث التاريخ الكبار.. فقد تجلت فيها بطولات المؤمنين، كما برزت فيها جاهلية النفاق، في أبشع مظاهرها.

و بمقدار ما كان عروج اهل البيت(ع) بقيادة الامام الحسين، عظيما، كان هبوط العدو في الحضيض عميقا...

و من هنا فان... سيرة عاشوراء، ليست صورة عن احداث و مواقف تاريخية فحسب، بل هي مرآة. تعكس مصائر الرجال اذا آمنوا، و ثاروا... ومصائر الاعداء حينما يخلدون الى الارض..

و فيما يلي، الاحداث اليومية، كما جرت في التاريخ، ومن دون رتوش، او تعليق، فهي اوضح من ان تحتاج الى شرح اوتعليق...

و لقد استقيت هذه الحوادث من اكثر من مصدر، الآ ان مصدري الرئيسي كان «مقتل الامام الحسين(ع)» للمرحوم السيد عبدالرزاق المقرم رحمه الله...



الفصل الأول

البدايات



إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً
ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح
في امة جدي ...

الحسين بن علي (ع)



يزيد في سدة الحكم

مات معاوية بدمشق، للنصف من رجب، سنة ستين هجرية، وكان ابنه يزيد حينذاك في «حوران» فاخذ «الضحاك بن قيس» اكفانه، ورقى المنبر فقال: «كان معاوية سور العرب، وعونهم وجدهم، قطع الله به الفتنة!! وملكه العباد، وفتح به البلاد، الاّ انه قدمات، و هذه اكفانه، فنحن مدرجوه فيها و مدخلوه قبره، و مخلون بينه و بين عمله... ثم هو البرزخ الى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد ان يشهد فليحضر»...

ثم صلى عليه ودفنه بمقابر باب الصغير، و ارسل رسولاً الى «يزيد» يعزيه بأبيه، ويطلب منه الاسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة بين الناس.

فلما قرأ يزيد الكتاب...

سار الى دمشق فوصلها بعد ثلاثة ايام من دفن معاوية، وخرج الضحاك في جماعة لاستقباله، فلما و افاهم يزيد، جاء به الضحاك اولاً الى قبر ابيه فصلى عند القبر...

و كتب الى العمال في البلدان يخبرهم بموت ابيه، و اقرّهم على أعمالهم، وضم البصرة و الكوفة الى عبيد الله بن زياد، بعد ان اشار عليه بذلك «سرجون» مولى معاوية... ثم كتب الى الوليد بن عتبة، و كان والي معاوية على المدينة يقول له:

—«اما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله، اكرمه و استخلصه و مكن له ثم قبصه الى روحه و ريحانه، و رحمته و عقابه، عاش بقدر، و مات بأجل، و قد كان عَهِدَ اليَّ و اوصاني بالحذر من «آل ابي تراب» فاذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة على اهل المدينة»...

ثم ارفق الكتاب بصحيفة صغيرة جاء فيها: «خذ الحسين، و عبدالله بن عمر، و عبدالرحمن بن ابي بكر، و عبدالله بن الزبير، بالبيعة اخذاً شديداً، و من ابى منهم فاضرب عنقه و ابعث اليَّ برأسه»!!

فقام الوليد باستدعاء كل من الحسين، و ابن الزبير، نصف الليل، رجاء ان يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل الناس، فوجدهما رسوله في مسجد النبي(ص) فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس الوليد فيه للناس... فأبى الذهاب اليه... و لكن الحسين «عليه السلام» صار اليه في ثلاثين من مواليه و اهل بيته شاكين بالسلاح، ليكونوا على الباب فيمنعونَ عنه الأذى اذا علا صوته.. و بيده قضيب رسول الله(ص)، و لما استقر المجلس بأبي عبدالله(ع) نعى الوليد اليه معاوية، ثم عرض عليه البيعة ليزيد فقال الحسين عليه السلام. «ان مثلي لايبايع سراً فاذا دعوت الناس الى البيعة، دعوتنا معهم فكان امراً واحداً»...

فاقتنع الوليد منه، لكن «مروان بن الحكم» ابتدر قائلا: ان فارقك الساعة و لم يبايع لم تقدر منه على مثلها، حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتى يبايع او تضرب عنقه...!

فصاح فيه الحسين: يا ابن الزرقاء انت تقتلني ام هو؟ كذبت و اثمت. »

ثم التفت الامام الى الوليد و قال: «ايها الأمير... انّاأهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، بنا فتح الله و بنا يختم، و يزيد رجل شارب الخمور، و قاتل النفس المحترمة و معلن بالفسق، و مثليُ لايبايع مثله، و لكن نصبح و تصبحون و تنظر و تنظرون اينا احق بالخلافة...»

فاغلظ الوليد في كلامه، وارتفعت الاصوات، فسمعه اصحاب الحسين(ع) فهجم منهم تسعة عشر رجلاً قد انتضموا خناجرهم واخرجوا الحسين الى منزله سالما...

فقـال مروان للوليد: عصيتني فوالله لايمَكنك على مثلها... فأجابه الوليد: و
بخ غـيـرك يـامروان!! اخترت لي مافيه هلاك ديني، أقتل حسيناً ان قال لاابايع؟!..
والله لااظن ان امرء يحاسب بدم الحسين، الاّ خفيف الميزان يوم القيامة و لاينظر الله
اليه و لايزكيه وله عذاب اليم!.

الهجرة الى بيت الله

في اليوم الثاني كان الامام الحسين يتهيء للهجرة الى مكة، حتى يسبق الأحداث... بعد ان ترك وصيته يعلن فيها عزمه على التغيير و الاصلاح مهما كلف الثمن، و قد جاء في الوصية.

«بسم الله الرحمن الرحيم— هذا ما اوصى به الحسين بن علي(ع) الى اخيه محمد بن الحنفية...

«ان الحسين يشهد ان لا اله الاّ الله، وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وان الجنة والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور...».

الا واني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي (ص) اريد ان آمر بالمعروف وانهي عن المنكر، واسير بسيرة جدي وابي علي بن ابي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق، ومن رد عليَّ هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين...

وقد تم مغادرة الامام للمدينة، باتجاه مكة بتاريخ ليلة الأحد، ليومين بقيا من رجب، ومعه بنوه واخوته وبنو اخيه الحسن واهل بيته وهو يقرأ: (فخرج منها خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين).

ولزم الطريق الذي يسلكه عامة الناس ، فقيل له لو تنكبّت الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب...

فقال: «لا والله لا افارقه حتى يقضي الله ماهوقاض».

ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهويقرأ.

«ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل».

فنزل دار العباس بن عبد المطلب فبدأ اهل مكة ومن كان بها من المعتمرين، و اهل الآفاق يفدون اليه، و يستمعون الى كلامه، بعد ان انتشر في كل مكان نبا غضبه على الحكم الجديد، و رفضه لمبايعة يزيد.

و في مكة كتب الحسين(ع) رسالة واحدة في مضموّنها الى خمسة من رؤساء الاخماس بالبصرة، و هم «مالك بن مسمع البكري، و الأحنف بن قيس، و المنذر بن الجارود، و مسعود بن عمر، و قيس بن الهيثم، وعمر بن عبيد بن معمر» و ارسلها مع مولى له يقال له سليمان، وجاء فيها:

(اما بعد فان الله اصطفى محمداً (ص) من خلقه و اكرمه بنبوته و اختاره لرسالته، ثم قبضه اليه وقد نصح لعباده و بلّغ ما ارسل به، و كنا اهله و اولياءه و اوصياءه و ورثته و احق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا و كرهنا الفرقة واحببنا العافية، و نحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، فان السنة قد اميتت والبدعة قد احييت، فان تسمعوا قولي اهدكم الى سبيل الرشاد).

وفي البصرة قام المنذر بن الجارود العبدي بتسليم رسول الحسين الى ابن زياد ، فطلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها الى الكوفة ليسبق الحسين اليها ، وكانت ابنة المنذر زوجة لابن زياد ، فزعم ان يكون الرسول دسيساً من ابن زياد ، وامّا الأحنف فانه كتب الى الحسين يقول له (ع) : اما بعد فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يقونون.

واما مسعود بن عمر فقد كتب للامام يقول: (اما بعد فقد وصل اليَّ كتابك، وفهمت ما ندبتني اليه ودعوتني له ، من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وان الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وانتم حجة الله على خلقه ووديعته في ارضه، تفرعتم من زيتونة احمدية هو اصلها وانتم فرعها، فاقدم، سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت اليك اعناق بني تميم، وتركتهم اشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع).

فلما قرأ الحسين (ع) كتابه قال: آمنك الله من الخوف واعزك وارواك يوم العطش الاكبر. . .

رسائل من اهل الكوفة

و مع شياع خبر وصول الامام الى مكة، و رفضه لبيعة يزيد، في الامصار بدأت ترده رسائل كثيرة من الكوفة موقعة من قبل فرد او اثنين او ثلاثة او اربعة او اكثر من ذلك و كلها تطالبه بالقدوم اليهم، ليكون امامهم بعد ان اعلنوا رفضهم الخضوع لنعمان بن بشير والي يزيد على الكوفة، و تكاثرت عليه الرسائل حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة رسالة، واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عشر الف رسالة و في كل ذلك يشددون الطلب، و هو لا يجيبهم، و آخر كتاب ورد عليه كان من «شبث بن ربعي» و «حجار بن ابجر» و «يزيد بن الحارث»، و «عزرة بن قيس»، و «عمرو بن الحجاج» و «محمد بن عمير بن عطارد» و جاء فيها:

«ان الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك ، فالعجل العجل يا ابن رسول الله فقد اخضر الجناب و اينعت الثمار، و اعشبت الارض، و أورقت الاشجار فاقدم اذا شئت فانما تقدم على جند لك مجندة...»

جواب الحسين

و لما اجتمع عند الحسين ماملأ الخرجين من الرسائل، كتب اليهم رسالة دفعها الى «هاني بن هاني السبيعي» و «سعيد بن عبدالله الحنفي»، و كانا آخر الرسل اليه من اهل الكوفة. و جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي، الى الملأ من المؤمنين و المسلمين، اما بعد... فان هانياً و سعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، و قد فهمت كل الذي قصصتم و ذكرتم، و مقالة جلكم: انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بكعلى الهدى والحق، وقد بعثت اليكم اخي و ابن عمي وثقتي من اهل بيتي «مسلم» و أمرته ان يكتب اليّ بحالكم و امركم و رأيكم، فان كتب انه قد اجتمع رأي ملأكم و ذوي الفضل و الحجي منكم على مثل ماقدمت عليّ رسلكم و قرأت في كتبكم، اقدم عليكم وشيكا انشاءالله، فلعمري ماالامام الا العامل بالكتاب و الآخذ بالقسط و الدائن بالحق و الحابس نفسه على ذات الله... و السلام).

ثم دفع الكتاب الى مسلم بن عقيل و قال له: اني موجهك الى اهل الكوفة وسيقضي الله من امرك مايحب و يرضى...

مسلم بن عقيل ممثل الامام الى اهل الكوفة

و بعث الامام الحسين مع مسلم بن عقيل(ع) «قيس بن مسهر الصيداوي» و «عمارة بن عبد الله السلولي» و «عبدالرحمن بن عبدالله الازدي» و امره بتقوى الله، والنظر فيما اجتمع عليه اهل الكوفة، فان رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل اليه برسالة يخبره فيها بأمرهم.

فخرج مسلم من مكة للنصف من شهر رمضان على طريق المدينة فدخلها و صلى في مسجد النبي (ص) و ودّع اهله، ثم استأجر رجلين ليذلاه على الطريق، فضيعا ذات ليلة الطريق، واصبحا تائهين و قد اشتد بهما العطش و الحر، فقالا لمسلم عليه السلام و قد بان لهما سنن الطريق: عليك بهذا السمت فالزمه لعلك تنجو فتركهما، و مضى على الوصف، و مات الدليلان عطشا.

و لخمس خلون من شوال، دخل الكوفة فنزل في دار «المختار بن ابي عبيد الثقفي»، وكان شريفا في قومه كريما... عالي الهمة، مقداماً مجرباً، قوي النفس شديداً على الاعداء، فجاء الناس الى مسلم في دار المختار يقدمون له الترحيب، و اظهروا له من الطاعة و الانقياد مازاد في سروره و ابتهاجه فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين(ع) قام عابس بن شبيب الشاكري وقال:

«اني لااخبرك عن الناس و لا اعلم ما في نفوسهم، و لااغرك بهم، والله اني احدثك عما انا موطن عليه نفسي، والله لأجيبنكم اذا دعوتم، ولاقاتلن معكم عدوكم، ولاضربن بسيفي دونكم حتى القى الله، لااريد بذلك الاّ ما عندالله».

وقال حبيب بن مظاهر:

«قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وانا والله الذي لا اله الاّ هو على مثل ما انت عليه»

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي مثل قولهما...

و اقبـل الناس يبايعونه حتى احصى ديوانه ثمانية عشر الفاً... وقيل اكثر من ذلك...

فكتب مسلم الى الحسين(ع) رسالة بعثها مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع اهل الكوفة على طاعته و انتظارهم لقدومه وفيه يقول: (الرائد لايكذب اهله وقد بايعني من اهل الكوفة ثمانية عشر الفاً فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي).

وكان ذلك قبل مقتل مسلم بسبعة وعشرين ليلة وضم مع رسالته رسالة من اهل الكوفة وفيه: عجّل القدوم يا بن رسول الله فان لك في الكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر...

فساء هذا جماعة ممن لهم هوى في بني امية، منهم عمر بن سعد ابن ابي وقاص، وعبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، وعمارة بن عقبة بن ابي معيط، فكتبوا الى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل و اقبال اهل الكوفة عليه، وان النعمان ابن بشير لاطاقة له على المقاومة.

فارسل يزيد الى «سرجون» مولاه يستشيره و كان كاتبه و انيسه.

فقال سرجون عليك بعبيد الله بن زياد.

قال: انه لاخير عنده.

فقال سرجون: لوكان معاوية حياً و اشار عليك به اكنت توليه؟ قال نعم.

فقال: هذا عهد معاوية اليه بخاتمه، ولم يمنعني ان اعلمك به الآ معرفتي ببغضك له فأنفذه اليه. و هكذا عزل يزيد النعمان بن بشير من ولاية الكوفة و نصب عبيدالله بن زياد مكانه و كتب اليه:

(اما بعد فان الممدوح مسبوب يوما، و ان المسبوب يوماً ممدوح، وقد سمي بك الى غاية انت فيها كما قال الأول:

رفعت و جاوزت السحاب وفوقه   فما لك الآ مرقب الشمس مقعد

و أمره بالاستعجال على الشخوص الى الكوفة ليطلب مسلم بن عقيل، فيوثقه او يقتله او ينفيه.

فتعجل ابن زياد المسير الى الكوفة في خمسمائة رجل انتخبهم من أهل

البصرة، فجّد في السير و كان لايلوي على احد يسقط من اصحابه...

و لماورد القادسية لبس ثيابا يمانية، وعمامة سوداء و انحدر وحده و كلما مرّ بالناس ظنوا انه الحسين(ع) فكانوا يقولون له: مرحباً بابن رسول الله، وهوساكت فدخل الكوفة، مما يلي النجف.

واستقبله الناس بهتاف واحد: (مرحباً بابن رسول الله!)... فساءه هذا الحال وانتهى الى (قصر الامارة) فلم يفتح النعمان باب القصر، واشرف عليه من اعلى القصر يقول: ما انا بمؤد اليك اماناتي يا بن رسول الله.!. فقال له ابن زياد افتح فقد طال ليلك

فسمعها رجل من اهل القصر وعرفه، فقال للناس انه ابن زياد ورب الكعبة.

فتفرقوا الى منازلهم، وعند الصباح جمع ابن زياد الناس في الجامع الأعظم وخطبهم وحذّرهم ومناهم العطية وقال:

ايما عريف وجد عنده احد من بغية اميرالمؤمنين «يزيد بن معاوية» ولم يرفعه الينا صلب على باب داره.

مسلم بن عقيل ينقل الصراع الى تحت الارض

و لما بلغ مسلم بن عقيل خطبة ابن زياد و وعيده وظهر له حال الناس، خاف ان يؤخذ غيلة، فخرج من دار المختار بعد العتمة الى دار «هاني بن عروة المذحجي» و كان من اشراف الكوفة، و قرائها، و شيخ مراد، و زعيمها، وكان من خواص اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب، وقد حضر حروبه الثلاثة و ادرك النبي (ص) و تشرف بصحبته و كان له يوم قتله بضع و تسعون سنة.

و بدأ بعض الناس يزور مسلم بن عقيل، في دارهاني على تستر و استخفاء من ابن زياد، و تواصوا بالكتمان فخفي على ابن زياد موضع مسلم فدعا مولى له اسمه «معقل» و اعطاه ثلاثة آلاف... وامره ان يلقى اصحاب مسلم و يعرفهم انه من اهل الشام و قد انعم الله عليه بحب اهل بيت رسوله.. و بلغه قدوم رجل منهم الى هذا المصر داعية للحسين، و ان عنده مال يريد ان يلقاه و يوصله اليه، فدخل «معقل» الجامع الأعظم، ورأى مسلم بن عوسجة الاسدي يصلي، فلما فرغ دنا منه وقص عليه حاله، فدعا له مسلم بالخير و التوفيق، و ادخله على ابن عقيل فدفع اليه المال و بايعه و سلمه الى «ابي ثمامة الصائدي» و كان بصيرا شجاعا و من وجوه اصحابه، عينه مسلم لقبض ما يرد عليه من الاموال ليشتري به سلاحا.

فكان «معقل» يزور مسلم كل يوم فلا يحجب عنه شيئ و يتعرف الاخبار و يرفعها الى ابن زياد عند المساء، و لما وضح الأمر لابن زياد وعرف ان مسلم بن عقيل مختبيء في دار هاني بن عروة، دعا «اسماء ابن خارجة» و «محمد بن الاشعث» و «عمر بن الحجاج» وسالهم عن انقطاع هاني عنه، قالوا: المرض يمنعه، فلم يقتنع ابن زياد بعد ان اخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية، فركب هؤلاء الجماعة اليه، وسألوه المسير الى السلطان فان الجفاء لايحتمله، و ألحوا عليه

فركب بغلته وجاء الى ابن زياد، ولما طلع عليه قال ابن زياد: (اتتك بخائن رجلاه)...

واضاف: والله لا تفارقني حتى تأتيني بمسلم.

قال: والله لوكان تحت قدمي مارفعتهما عنه...

فاغلظ له ابن زياد وهدده بالقتل.

فقال هاني: اذاً تكثر البارقة حولك...

وهو يظن ان قبيلة «مراد» تمنعه، فأخذ بن زياد بظفيرتيه وقنع وجهه بالسيف حتى كسر انفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته، وحبسه عنده.

وبلغ عمر بن الحجاج ان «هانيا» قتل، وكانت اخته روعة تحت هاني، فأقبل في جمع من مذحج، واحاط بالقصر فلما علم ابن زياد امر شريح القاضي ان يدخل على «هاني» ويعلمهم بحياته.

قال شريح لما رآني هاني صاح بصوت رفيع:

— ياللمسلمين ان دخل عليّ عشرة نقذوني.

«ولكني قلت لهم انه حيّ، فحمد الله عمرو، بن الحجاج وانصرف بقومه»!

ولما بلغ مسلم بن عقيل خبر اعتقال هاني صمم على الخروج، قبل الأجل الذي بينه وبين الناس، وأمر عبدالله بن حازم ان ينادي في اصحابه وقد ملأبهم الدور حوله، فاجتمع اليه اربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور... امت)!

واقبلوا نحو القصر فانسحب ابن زياد الى داخل القصر وغلق الابواب ولم يستطع المقاومة لأنه لم يكن معه حينئذٍ الآ ثلاثون رجلا من الشرطة وعشرون رجلا من مواليه، فأطل من في القصر على اصحاب مسلم وقال:

يا اهل الكوفة اتقوا الله، ولا توردوا على انفسكم الهلكة، فهذه خيول الشام قد قبلت ولقد ذقتموهم وجربتموهم.

فتفرق هؤلاء الثلثمائة، حتى ان الرجل كان يأتي ابنه واخاه وابن عمه فيقول له: انصرف والمرأة تأتي زوجا فتتعلق به حتى يرجع..

فصلى مسلم «عليه السلام» العشاء بالمسجد، ومعه ثلاثون رجلاً، ثم انصرف ومعه ثلاثه، ولم يمض الآ قليل حتى لم يبق معه احد يدله على الطريق، فنزل عن

فرسه و مشى متردداً في ازقة الكوفة لايدري الى اين يتوجه؟.

و لما تفرق الناس عن مسلم و سكن لغطهم، ولم يسمع ابن زياد اصوات الرجال، امر من معه في القصر ان يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها، فكانوا يدلون القناديل و يشعلون النار في القصب و يدلونها بالحبال الى ان تصل الى صحن الجامع، فلم يروا احداً... فأعلموا ابن زياد و أمر مناديه ان ينادي الناس ليجتمعوا بالمسجد، و لما امتلأ المسجد بهم رقى المنبر و قال:

«ان ابن عقيل قد اتى ماقد علمتم من الخلاف و الشقاق، فبرأت الذمة من رجل و جدناه في داره، و من جاء به فله ديته، فاتقوا الله عباد الله و الزموا طاعتكم و بيعتكم و لا تجعلوا على انفسكم سبيلاً»...

مقتل مسلم بن عقيل

وانتهى بابن عقيل السير الى دور «بني جبلة» ووقف على باب امرأة يقال لها «طوعة» كانت واقفة على الباب تنتظر ولدها و اسمه بلال، فاستسقاها مسلم فسقته، واستضافها فاضافته... بعد ان عرّفها انه ليس له في المصر اهل و لا عشيرة، وانه من اهل البيت و هومسلم بن عقيل... فادخلته غرفة غير التي يأوي اليها ابنها وعرضت عليه الطعام، و لقد عرف ابنها من كثرة الدخول و الخروج لذلك البيت ان مسلم عندهم بعد ان حلف لها كتمان الأمر.

وعند الصباح ذهب الولد الى ابن زياد واخبره بمكان مسلم طمعاً في الجائزة...

فأرسل « ابن الأشعث » في سبعين رجلاً، ليقبض عليه .

ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف بأنه قد أُتي فعجل دعاءه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح، ثم لبس لامته وقال لطوعة: قد أديت ما عليك من البر، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله، ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول أنت معي غداً. . .

فخرج اليهم مصلتا سيفه وقد اقتحموا عليه الدار، فأخرجهم منها ثم عادوا اليه واخرجهم وهو يقول :

هو الموت فاصنع ويك ما انت صانع ... فانت بكأس الموت لا شك جامع
فصبراً لأمر الله جل جلاله ... فحكم قضاء الله في الحكم ذايع

فقتل منهم واحداً و اربعين رجلا...

و ارسل «ابن الاشعث» الى ابن زياد يستمده بالرجال، فبعث اليه يلومه في ذلك، فقال «ابن الاشعث» لابن زياد: اتظن انك ارسلتني الى بقال من بقالي الكوفة،

او جرمقاني من جرامقة الحيرة، و انما ارسلتني الى سيف من اسياف محمد بن عبدالله، فمده بالعسكر.

ثم اشرفوا عليه من فوق ظهر البيت يرمونه بالحجارة، و يلهبون النار في اطنان القصب و يلقونها عليه، فشد عليهم يقاتلهم في السكة و هو يرتجز بأبيات حمران بن مالك...

اقسمت لااقتل الآ حرا و ان رأيت الموت شيئا نكرا

كل امرء يوما ملاق شرا و يخلط البارد سخنا مرا.

رد شعاع النفس فاستقرا اخاف ان اكذب اواغرا

مقتل هاني بن عروة المرادي

ثم انهم اخرجوا «هاني» الى مكان من السوق يباع فيه الغنم، و هو مكتوف فجعل يصيح: «وامذحجاه... و لامذحج لي اليوم، و امذحجاه و اين مني مذحج»... فلما رأى ان احداً لاينصره، جذب يده و نزعها من الكتّاف، و قال: «اما من عصى او سكين او خنجر او عظم يدافع رجل عن نفسه».. و وثبوا عليه و اوثقوه كتافا و قيل له: مدعنقك. فقال: ما انا بها سخي، و ما انا بمعينكم على نفسي.

فضر به بالسيف مولى لعبيد الله بن زياد تركي، يقال له «رشيد» فلم يصنع فيه شيئا.

فقال هاني: الى الله المعاد اللهّم الى رحمتك ورضوانك، ثم ضر به اخرى فقتله...

و امر ابن زياد بسحب مسلم و هاني بالحبال من ارجلهما في الاسواق و صلبهما بالكناسة منكوسين و أنفذ الرأسين الى يزيد فنصبهما في درب من دمشق.

و كتب الى يزيد رسالة جاء فيها: اما بعد، فالحمد لله الذي اخذ لاميرالمؤمنين بحقه، و كفاه مؤنّة عدوه، أُخبر اميرالمؤمنين اكرمه الله ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار هاني ابن عروة المرادي و اني جعلت عليهما العيون و دسست اليهما الرجال و كدتهما، حتى استخرجتهما و امكن الله منهما فضربت اعناقهما، و بعثت برأسيهما اليك مع هاني بن ابي حية الوادعي الهمداني، و الزبير بن الاروح التميمي، و هما من اهل السمع و الطاعة و النصيحة، فليسألهما اميرالمؤمنين عما احب فان عندهما علماً و صدقاً و فهماً و ورعاً و السلام»!!

و كتب يزيد الى ابن زياد رسالة جاء فيها: اما بعد فانك لم تعد ان كنت كما

احب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد اغنيت و كفيت و صدقت ظني بك، ورأيي فيك، و قد دعوت رسوليك فسألتهما و ناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، و انه قد بلغني ان الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح و احترس على الظن و خذ على التهمة»..!!



الفصل الثاني

الحسين
يخرج الى كربلاء

إني لا أرى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين إلاّ برما..

الامام الحسين (ع)



لما بلغ الحسين ان يزيد انفذ «عمروبن سعيد بن العاص» في عسكر و أمّره على الحاج، و ولاه أمر الموسم و أوصاه بالفتك بالحسين أينما وُجد عزم على الخروج من مكة قبل اتمام الحج واقتصر على العمرة كراهية ان تستباح به حرمة البيت.

و قبل ان يخرج قام خطيباً فقال:

«الحمدلله و ماشاء الله، ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله.»

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، و ما أولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، و خير لي مصرع أنا لاقيه.»

«كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواو يس و كر بلا فيملأن مني اكراشاً جوفا واجر بة سغبا.»

«لامحيص عن يوم خط بالقلم، رضاالله رضانا اهل البيت، نصبر على بلائه و يوفينا اجور الصابرين.»

«لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه و ينجز بهم وعده.»

«ألا من كان فينا باذلا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحاً ان شاء الله تعالى.»

و كان خروجه (ع) من مكة لثمان مضين من ذي الحجة، و معه أهل بيته و مواليه اهل الحجاز والبصرة والكوفة الذين انضموا اليه أيام اقامته بمكة و أعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملا يحمل عليه زاده.

ولم يبق بمكة أحد إلا حزن لمسيره، ولما أكثروا القول عليه انشد أبيات اخي الاوس لماحذره ابن عمه من الجهاد مع رسول الله (ص).

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... اذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً.

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

ثم تلا قوله تعالى: «وكان امر الله قدرا مقدورا»

الفرزدق ينعى الرجال الصادقين

و في الصفاح لقي الحسين (ع) «الفرزدق بن غالب» الشاعر الشهير فسأله عن خبر الناس خلفه.

فقال الفرزدق: قلوبهم معك والسيوف مع بني امية، والقضاء ينزل من السماء!

فقال أبوعبدالله (ع): صدقت لله الامر، والله يفعل مايشاء وكل يوم ربنا في شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه و هو المستعان على أداء الشكر، و ان حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته»

التحاق زهير بن القين بقافلة الحسين

ولما نزل الحسين في زرود، نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي، و كان غير مشايع له و يكره النزول معه، لكن الماء جمعهم في المكان.

و بينا زهير و جماعته على طعام صنع لهم، اذا اقبل رسول الحسين يدعو زهيراً الى ابي عبدالله (ع) فتوقف زهير عن الأجابة غير ان امرأته «دلهم بنت عمرو» حثته على المسير اليه و سماع كلامه.

فمشى زهير الى الحسين، و ما اسرع ان عاد الى اصحابه فرحا قد استبش و جهه و امر بفسطاطه و ثقله فحول الى جهة سيد شباب اهل الجنة.

و قال لأمرأته: الحقي بأهلك فاني لااحب ان يصيبك بسببي الآ خير.. ثم قال لمن معه: من احب منكم نصرة ابن الرسول (ص) والآ فهو آخر العهد، ! الآ ان زوجته رفضت ان تتركه، قائلة: خار الله لك، و أسألك ان تذكرني يوم القيامة عند جدالحسين عليه السلام.

و في زرود ايضا اخبر الامام بقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فاسترجع كثيرا و ترحم عليهما مرا را و بكى، و بكى معه الهاشميون و كثر صراخ النساء.

فقام له عبدالله بن سليم، والمنذر بن المشمعل الاسديان: ننشدك يا ابن رسول الله الا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك بالكوفة ناصر!

الحسين يواصل المسيرة رغم الاخبار غير السارة

و في منطقة الشقوق رأى الحسين رجلا مقبلا من الكوفة، فسأله عن اهل العراق فاخبره انهم مجتمعون عليه.

فقال عليه السلام ان الأمر لله يفعل مايشاء و ربنا تبارك هو كل يوم في شأن، ثم انشد:

فان تكن الدنيا تعد نفيسة	فدار ثواب الله اعلى وانبل
وان تكن الاموال للترك جمعها	فما بال متروك به المرء يبخل
وان تكن الارزاق قسما مقدرا	فقلة حرص المرء في الكسب اجمل
وان تكن الابدان للموات انشئت	فقتل امرئ بالسيف في الله افضل

مقتل رسول الحسين في طريق الكوفة

و في منطقة «ز بالة» اخبر بقتل عبدالله بن يقطر، الذى أرسله الحسين الى مسلم بن عقيل، فقبض عليه «الحصين بن نمير» عميل عبيدالله بن زياد في القادسية و سرحه الى عبيدالله بن زياد، فأمره ان يصعد المنبر و يلعن الحسين ولكنه لما اشرف على الناس قال:

—«ايها الناس انا رسول الحسين بن فاطمة، لتنصروه و تؤازروه على ابن مرجانة.»

فأمر به عبيدالله فالقي من فوق القصر، فتكسرت عظامه و بقي به رمق، فأتاه رجل يقال له «عبدالملك،بن عمير اللخمي» فذبحه، فاعلم الامام الحسين بذلك الناس و اذن لهم بالانصراف فتفرقوا عنه يمينا و شمالا و بقي في اصحابه الذين جاؤوا معه من مكة... و انما تبعه خلق كثير من الاعراب لظنهم انه يأتي بلدا اطاعه اهله، فكره عليه السلام ان يسيروا معه الآ على علم بما يقدمون عليه، و قد علم انه اذا اذن لهم بالانصراف لم يصحبه الآ من يريد مواساته على الموت.

و سار من بطن العقبة حتى نزل منطقة «شراف» و عندالسحر امر فتيانه ان يستقوا من الماء و يكثروا. و في النهار سمع رجلا من اصحابه يكبر.

فقال الحسين: لم كبرت؟.

قال: رأيت النخل.

فانكر من معه ان يكون بهذا الموضع نخل، و انما هو اسنة الرماح و اذان الخيل.

فقال الحسين: وانا اراه ذلك.

ثم سألهم عن ملجأ يلجأون اليه فقالوا هذه «ذوحسم» عن يسارك فهو كماتريد، فسبق اليه الحسين و ضرب ابنيته.

وطلع عليهم الحر الرياحي مع الف فارس فوقف الحر و اصحابه مقابل الحسين في حر الظهيرة.

فلما رأى سيد الشهداء ما بالقوم من العطش، امر اصحابه ان يسقوهم و يرشفوا الخيل، فسقوهم و خيولهم عن آخرهم، ثم اخذوا يملأون القصاع والطساس و يدنونها من الفرس فاذا عب فيها ثلاثا او اربعا او خمسا عزلت و سقي آخر حتى سقوا الخيل كلها.

و كان «علي بن الطعان المحاربي» مع الحر فجاء آخرهم و قد اضر به العطش فقال له الحسين:

انخ الراوية (و هي الجمل بلغة الحجاز) فلم يفهم مراده فقال له: انخ الجمل، ولما اراد ان يشرب جعل الماء يسيل من السقاء فقال له الحسين.

— اخنث السقاء، فلم يدر مايصنع لشدة العطش، فقام(ع) بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى و سقى فرسه! ثم ان الحسين استقبلهم فحمدالله و اثنى عليه و قال:

«انها معذرة الى الله عزوجل واليكم، و اني لم آتكم حتى أتتني كتبكم و قدمت بها عليّ رسلكم ان اقدم علينا فانه ليس لنا امام، و لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى، فان كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما اطمئن به من عهودكم و مواثيقكم، و ان كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم»

فسكتوا جميعا، ولم يجيبوا بشي !

و اذّن الحجاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر.

فقال الحسين للحر: اتصلي بأصحابك قال: لابل نصلي جميعا بصلاتك، فصلى بهم الحسين.

و بعد ان فرغ من الصلاة اقبل عليهم فحمدالله و اثنى عليه وصلى على النبي محمد و قال:

«يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله و تعرفوا الحق لأهله، يكن ارض لله، و نحن اهل بيت محمد (ص) اولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ماليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان، و ان ابيتم الاّ الكراهية لنا والجهل بحقنا و كان رأيكم الآن على غير ما اتتني به كتبكم، انصرفت عنكم».

فقال الحر: ماأدري ماهذه الكتب التي تذكرها!! فأمر الحسين «عقبة بن سمعان» فاخرج خرجين مملوءين كتبا.

قال الحر: اني لست من هؤلاء الذين كتبوا لك، و اني أمرت ان لا افارقك اذا لقيتك

حتى اقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الحسين: الموت ادنى اليك من ذلك، و امر أصحابه بالركوب و ركبت النساء فحال بينهم و بين الانصراف الى المدينة.

فقال الحسين للحر: ثكلتك امك ما تريد منا؟.

«فقال الحر خذ طريقاً نصفاً بيننا لا يدخلك الكوفة ولايردك المدينة، حتى اكتب الى ابن زياد فلعل الله ان يرزقني العافية ولا يبتليني بشيء من امرك.

ثم قال للحسين: اني اذكرك في نفسك فاني اشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال الحسين: أفبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب ان تقتلوني، وسأقول ماقال اخو الاوس لابن عمه و هو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... اذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فان عشت لم اندم وان مت لم الم ... كفى بك ذلا ان تعيش وترغما

فلما سمع الحر هذا منه تنحى عنه، فكان الحسين يسير بأصحابه في ناحية والحرومن معه في ناحية

•••

وفي البيضة خطب فى اصحاب الحر فقال بعد الحمدلله والثناء عليه:

— ايها الناس ان رسول الله قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عبادالله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله ان يدخله مدخله».

«ألا وان هؤلاء قدلزموا الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن،واظهروا الفساد و عطلوا الحدود و استأثروا بالفيء واحلوا حرام الله و حرموا حلاله و انا أحق من غيّر».

«و قد أتتنى كتبكم و قدمت علي رسلكم ببيعتكم، انكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان أتممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي و ابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم و أهلي مع اهليكم، ولكم فيّ اسوة، و ان لم تفعلوا و نقضتم عهدكم و خلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر ولقد فعلتموها بأبي و أخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغتر بكم، فحظكم اخطأتم و نصيبكم ضيعتم، و

من نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و في القادسية قبض الحصين بن نمير التميمي على قيس بن مسهر الصيداوي رسول الحسين الى أهل الكوفة، و كان ابن زياد امره ان ينظم الخيل ما بين القادسية الى خفان ومنها الى القطقطانة، و لما أراد ان يفتشه اخرج قيس الكتاب و خرقه، وجيء به الى ابن زياد.

فقال له: لماذا خرقت الكتاب؟

قال لئلا تطلع عليه فأصر ابن زياد على ان يخبره بما فيه فأبى قيس فقال اذاً اصعد المنبر وسب الحسين و أباه و أخاه والاقطعتك ار با.

فصعد قيس المنبر فحمدالله واثنى عليه وصلى على النبي وآله، و اكثر من الترحم على اميرالمؤمنين والحسن والحسين ولعن عبيدالله بن زياد و اباه و بني أمية ثم قال.

أيها الناس أنا رسول الحسين اليكم وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه.

فأمر ابن زياد ان يرمى من أعلى القصر، فرمي، وتكسرت عظامه و مات

كيف تمت السيطرة على الكوفة؟

و في عذيب الهجانات وافاه أربعة نفر خارجين من الكوفة على رواحلهم و سألهم الحسين عن رأي الناس، فأخبروه بأن الاشراف عظمت رشوتهم و قلوب ساير الناس معه والسيوف عليه ثم اخبروه عن قتل «قيس بن مسهر الصيداوي».

فقال عليه السلام: منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا و بينهم في مستقر من رحمتك و رغائب مذخور ثوابك.»

الحسين في كربلاء

ولما كان آخر الليل أمر فتيانه بالاستقاء والرحيل و بينا يسيرون اذسمعوا الحسين يقول:

—انالله و انا اليه راجعون والحمدالله رب العالمين» و كرره عدة مرات، فسأله علي الأكبرعن استرجاعه.

فقال: اني خفقت برأسي فعنَّ لي فارس و هويقول:

القوم يسيرون والمنايا تسيرهم، فعلمت انها انفسنا نعيت الينا.

فقال علي الاكبر: لاأراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟

قال بلى والذي اليه مرجع العباد.

فقال: يا ابت اذن لانبالي أن نموت محقين!

فقال(ع): جزاك الله من ولد خيرما جزى ولداً عن والده.

ولم يزل الحسين يتياسر الى أن انتهى الى نينوى و اذ بهم يلتقون براكب قادم من الكوفة. وعليه السلاح فانتظروه، و اذا هورسول ابن زياد الى الحرمعه كتاب يقول فيه:

«جعجع بالحسين حين تقرأ كتابي، ولا تنزله إلا بالعراء على غيرماء و غير حصن»...

والتفت الحسين الى الحر و قال: سر بنا قليلا فساروا جميعاً حتى اذا وصلوا أرض كربلاء فوقف الحر و أصحابه أمام الحسين(ع) و منعوه عن المسيروقالوا: ان هذا المكان قريب من الفرات...

رسالة ابن زياد الى الحسين!

و بعث الحر الى ابن زياد، يخبره بنزول الحسين في كربلاء فكتب ابن زياد الى الحسين رسالة جاء فيها:

«أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخمير او الحقك باللطيف الخبير، أوتنزل على حكمي و حكم يزيد والسلام.»

ولما قرأ الحسين الكتاب رماه من يده و قال:

لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق!

وطالبه الرسول بالجواب

فقال: ماله عندي جواب لأنه حقت عليه كلمة العذاب!

و أخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبوعبدالله(ع)، فاشتد غضبه و أمرعمر بن سعد بالخروج الى كربلاء، و كان معسكراً (بحمام أعين) في أربعة الآف ليسير بهم الى «دستبى» لأن الديلم، قد غلبوا عليها و كتب له ابن زياد عهداً بولاية الروم و ثغر دستبي والديلم، فاستعفاه ابن سعد ولما استرد منه العهد استمهله ليلته و جمع عمر بن سعد نصحاءه فنهوه عن المسير لحرب الحسين و قال له ابن اخته حمزة بن المغيرة بن شعبة:

«أنشدك الله ان لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك، و تأثم بربك فوالله لئن تخرج من دنياك و مالك و سلطان الارض كله لك لكان خيراً لك من ان تلقى الله بدم الحسين.

فقال ابن سعد: أفعل ان شاء الله.

و بات ليلته مفكراً في امره و سمع يقول:

اءترك ملك الري والري رغبتي	أم ارجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجاب، وملك الري قرة عيني

وعند الصباح أتى ابن زياد و قال:

— انك وليتني هذا العمل (اي الذهاب لمقاتلة الديلم في الري) و سمع به الناس

فأنفذني له و ابعث الى الحسين من لست أغنى في الحرب منه، وسمى له اناساً من شراف الكوفة.»

فقال ابن زياد:

—:لست استأمرك فيمن أريد ان أبعث، فان سرت بجندنا وإلا فابعث الينا عهدنا.

فلما رآه ملحاً قال: إني سائر فأقبل في أربعة الآف و انضم اليه الحرفيمن معه.

و دعا عمر بن سعد عزرةبن قيس الاحمسي و أمره أن يلقى الحسين و يسأله عما جاء به فاستحيا عزرة لأنه ممن كاتبه، فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه، فأبوا لأنهم كاتبوه.

ابن زياد يعبئ الناس لمقاتلة الحسين (ع)

وجمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة فقال.

«ايها الناس إنكم بلوتم ال ابي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، و هذا اميرالمؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً الى الرعية يعطي العطاء في حقه، و قد امنت السبل على عهده و كذلك كان ابوه معاو ية في عصره، و هذا ابنه يزيد يكرم العباد و يغنيهم بالأموال، وقدزادكم في أرزاقكم مائة، و أمرني ان اوفرها عليكم و أخرجكم الى حرب عدوه الحسين فاسمعواله و أطيعوا.»

و بعد هذه الخطبة بدأ يجبر الناس بالترهيب والترغيب لمقاتلة الامام، ومن ثم ففد بدأت الجيوش تتجه نحو كر بلاء...

فخرج الشمر في ار بعة آلاف و يزيد بن الركاب في الفين، والحصين بن نمير التيمي، في ار بعة آلاف وشبث بن ر بعي في الف، وكعب بن طلحة في ثلا ثة آلاف، وحجار بن ابجر في الف، ومضاير بن رهينة المازني في ثلا ثة آلاف، ونصر بن حرشة في الفين، فتكامل عند ابن سعد لست خلون من المحرم عشرون الفاولم يزل ابن زياد يرسل العساكر الى ابن سعد حتى تكامل عنده ثلا ثون الفا.

وقيل اكثرمن ذلك ايضا...

وانزل ابن سعد الخيل على الفرات، فحموا الماء وحالوا بينه و بين سيدالشهداء، ولم يجد اصحاب الحسين طريقا الى الماء حتى اضربهم العطش، فأخذ الحسين فأسا وخطا وراء خيمة النساء تسع عشرة خطوة نحو القبلة وحفر فنبعت له عين ماء عذب فشر بوا ثم غارت العين ولم يرلها اثر، فأرسل ابن زياد الى ابن سعد:

—:بلغني ان الحسين يحفر الابار، و يصيب الماء فيشرب هو واصحابه فانظر اذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم غاية التضييق.

الحسين ينزل كربلاء

و كان نزوله في كربلاء في الثاني من المحرم سنة احدى وستين، فجمع (ع) ولده و اخوته و أهل بيته ونظر اليهم وقال:

«اللهم انا عترة نبيك محمد قداخرجنا وطردنا و ازعجنا عن حرم جدنا، وتعدت بنوأمية علينا، اللهم فخذلنا بحقنا و انصرنا على القوم الظالمين.»

واقبل على أصحابه فقال:

«الناس عبيدالدنيا، والدين لعق على السنتهم يحوطونه مادرت به معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون.

ثم حمدالله و اثنى عليه وصلى على محمد و آله وقال:

«أمّا بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، و ان الدنيا قد تغيرت وتنكرت و أدبر معروفها، ولم يبق منها الاصبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل.»

«ألا ترون الى الحق لايعمل بهوالى الباطل لايتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاءالله! محقاً فاني لاأرى الموت الاسعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.»

فقام زهير وقال: سمعنا يا بن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين، لا ثرنا النهوض معك على الاقامة فيها.»

و قال برير: «يا بن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطّع فيك أعضاؤناثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وقال نافع بن هلال:

«أنت تعلم ان جدك رسول الله، لم يقدر أن يشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا الى أمره ما أحب، و قد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، و يضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل و يخلفونه بأمّر من الحنظل، حتى قبضه الله اليه و إن أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره و قاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، حتى أتاه أجله فمضى الى رحمة الله و رضوانه.

«و أنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده و خلع بيعته فلن يضر إلا

نفسه والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافى، مشرقاً إن شئت أو مغرّبا، فوالله ما أشفقنا من قدرالله ولا كرهنا لقاءربنا و إنا على نياتنا و بصائرنا نوالي من والاك و نعادي من عاداك .

«ولما نزل الحسين(ع) كربلاء كتب الى ابن الحنفية و جماعة من بني هاشم:
«اما بعد فكأن الدنيا لم تكن، و كأن الآخرة لم تزل والسلام.

اليوم السابع يوم العطش.

وفي اليوم السابع اشتد الحصارعلى سيدالشهداء ومن معه وسد عنهم باب الورود ونفذ ماعندهم من الماء فعاد كل واحد يعالج لهب العطش...

اليوم التاسع محاولة الزحف ...

ونهض ابن سعد عشية الخميس، لتسع خلون من المحرم، ونادى في عسكره بالزحف نحو الحسين، وكان الحسين حينئذلك جالساً امام بيته محتبياً بسيفه وخفق برأسه، فرأى رسول الله يقول: انك صائر الينا عن قريب وسمعت زينب اصوات الرجال وقالت لاخيها: قد اقترب العدو منا.

فقال لاخيه العباس:

—: اركب بنفسي انت حتى تلقاهم واسألهم عما جاءهم، وما الذي يريدون.

فركب العباس في عشرين فارسا، وسألهم عن ذلك؟

فقالوا: جاء امر الأمير ان نعرض عليكم النزول على حكمه او ننازلكم الحرب.

واعلم العباس اخاه ابا عبدالله بما قاله القوم فقال الحسين(ع):

ارجع اليهم واستملهلهم هذه العشية الى غد لعلنا نصلي لربنا الله، وندعوه ونستغفره فهويعلم اني احب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

فرجع العباس واستمهلهم العشية،

فقال ابن سعد: والله لواعلم انه لايفعل ما اخرتهم العشية، ثم بعث الى الحسين... انا اجلناكم الى غدفإن استسلمتم سرحنا بكم الى الأمير ابن زياد، وان ابيتم فلسنا تاركيكم.

ليلة العاشر: عناق الرجولة والايمان

وجمع الحسين أصحابه قرب المساء قبل مقتله بليلة فقال:

أُثنى على اللّه أحسن الثناء واحمده على السراء والضراء، اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا اسماعاً وأبصاراً و افئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد فاني لا أعلم اصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت ابر، ولا اوصل من أهل بيتي فجزاكم اللّه عني جميعاً.

ألا واني أظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا، واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس علكم مني ذِمام

وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جلا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم اللّه جميعاً خيراً! وتفرقوا في سوادكم و مدائنكم فان القوم انما يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري.»

فقال له اخوته وابناؤه و بنوأخيه وابناء عبداللّه بن جعفر:

لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا اللّه ذلك أبدا، الهاشميون.

والتفت الحسين إلى بني عقيل وقال:

حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم.

فقالوا: إذاً ما يقول الناس وما نقول لهم؟ انقول انا تركنا شيخنا وسيدنا و بني عمومتنا خُير الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟!

«لا واللّه لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا واموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح اللّه العيش بعدك»

وقال مسلم بن عوسجة: أنحن نخلي عنك؟! وبماذا نعتذر الى الله في اداء حقك، أما والله لا أفارقك حتى اطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولولم يكن معي سلاح اقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة حتى اموت معك.»

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: والله لانخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك» واضاف: «اما والله لوعلمت اني اقتل ثم أحيا، ثم احرق حياً ثم اذرّى، يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك، حتى القى حمامي دونك، وكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً.»

وقال زهير بن القين: والله وددت اني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت حتى اقتل هكذا الف مرة وان الله عزوجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك.»

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً فجزّاهم الحسين خيراً.

وفي هذا الحال قيل لمحمد بن بشير الحضرمي، قد اسرابنك بثغر الري.

فقال: ما احب ان يؤسر وانا ابقى بعده حيا

فقال له الحسين: انت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك

قال: لا والله لاافعل ذلك اكلتنى السباع حيا ان فارقتك!

* * *

في ليلة عاشوراء

هازل برير عبدالرحمن الانصاري

فقال له عبدالرحمن: ما هذا ساعة باطل؟ فقال برير:

لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلا ولا شاباً ولكني مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا و بين الحور العين إلا ان يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة.

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك.

فقال له يزيد بن الحصين الهمداني ما هذه ساعة ضحك!

قال حبيب: وأي موضع أحق بالسرور من هذا؟ ماهو الا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور.

* * *

قال علي بن الحسين «زيد العابدين» سمعت أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر اف لك من خليل	كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل	وكل حي سالك سبيل

«فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها، وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.»

«وأما عمتي زينب لما سمعت ذلك وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت اليه وقالت:

— واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وابي علي واخي

الحسن يا خليفة الماضي وثمال الباقي .

فعزاها الحسين وصبَّرها وقال لها: يا اختاه تعزي بعزاء الله واعلمي ان اهل الارض يموتون، واهل السماء لايبقون وكل شيء هالك الا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله اسوة حسنة.

ثم انه عليه السلام أمر اصحابه ان يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب و يلق عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل فيكون القتال من وجه واحد.

وخرج عليه السلام في جوف الليل الى خارج الخيام يتفقد التلاع، والعقبات فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله الحسين عما اخرجه

قال: يا بن رسول الله افزعني خروجك الى جهة معسكر هذا الطاغي.

فقال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع و يقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال له ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

فأخذ نافع يبكي و يقول:

ثكلتني امي، إن سيفي بألف وفرسي مثله فوالله الذي منَّ بك علي لافارقتك حتى يكلا عن فري وجري.

قال الله العظيم في كتابه:

«و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق، اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما، ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال انما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت يدك اليّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين، اني اريد ان تبوء باثمي و اثمك فتكون من اصحاب النار و ذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل اخيه، فقتله فاصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا و يلتي اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من

النـادمين، مـن أجـل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتـل النـاس جميعا و من أحياها فكأنما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون»

صدق الله العلي العظيم
ـ المائدة /٢٧، ٣٢ ـ

الفصل الثالث

يوم عاشوراء
الاستعداد للمواجهة

والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل
ولا أفر فرار العبيد

الامام الحسين (ع)

لما أصبح الحسين يوم عاشوراء وصلى باصحابه صلاة الصبح، قام خطيباً فيهم ،فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

ـ ان الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال

ثم صفهم للحرب، وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً، فجعل زهير بن القين في الميمنة وحبيب بن مظاهر في المسيرة وثبت هوعليه السلام وأهل بيته في القلب وأعطى الراية أخاه العباس

واقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين الفا فجعل ابن سعد على الميمنة «عمرو بن الحجاج الزبيدي» وعلى الميسرة «شمر بن ذي الجوشن العامري» وعلى الخيل «عزرة بن قيس الاحسي» وعلى الرجالة «شبث بن ربعي» والراية مع مولاه ذو يد.

وأقبلوا يجولون حول البيوت، فيرون النار تضطرم في الخندق، فنادى شمر بأعلى صوته:

ياحسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة !؟

فقال الحسين من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن!

قيل نعم

فقال عليه السلام: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها مني صليا.

ورام مسلم بن عوسجة أن يرمية بسهم، فمنعه الحسين وقال: أكره أن أبدأهم بقتال.

ولما نظر الحسين(ع) الى جموع الاعداء كأنهم السيل، رفع يديه بالدعاء وقال:

ـ اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق و يشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته اليك؟ رغبة مني اليك عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة.

الحسين يخاطب العدو

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم:

«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم، بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا امركم وشركاء كم ثم لايكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون، ان وليي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.»

قال:

عباد الله اتقوا الله و كونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد او بقي عليها أحد لكان الأنبياء أحق بالبقاء، و أولى بالرضا و أرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للفناء فجديدها بال، و نعيمها مضمحل، و سرورها مكفهر والمنزل تلعة والدار قلعة، فتزودوا فان خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

«ايها الناس ان الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء و زوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن اليها، و تخيب طمع من طمع فيها و أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم و أعرض بوجهه الكريم عنكم، واحل بكم نقمته فنعم الرب ربنا و بئس العبيد انتم، اقررتم بالطاعة و آمنتم بالرسول محمد(ص)، ثم انكم زحفتم الى ذريته و عترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وانا اليه راجعون،

«ايها الناس انسبوني من انا؟ ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟

«ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عندر به؟

أوليس حمزة سيدالشهداء عم أبي؟

«اوليس جعفرالطيار عمي؟،

«أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب اهل الجنة؟ فان صدقتموني بما اقول —وهو الحق والله ماتعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله و يضرّ به من اختلقه— وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الانصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم، انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي،

«أما في هذا حاجزلكم عن سفك دمي»؟!

فقال الشمر: هو يعبدالله على حرف إن كان يدري ما يقول!

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني اراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وانا أشهد انك صادق ماتدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك!

ثم قال الحسين(ع): فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله مابين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم،

«ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته! أومال لكم استهلكته او بقصاص جراحة،

ثم نادى: يا شبث بن ربعي، و يا حجار بن ابجر و يا قيس بن الاشعث، و يا زيد ابن الحارث ألم تكتبوا الي ان أقدم قد اينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جندلك مجندة؟

فقالوا: لم نفعل!

قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال: ايها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمن من الارض،

فقال له قيس بن الاشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فانهم لن يروك الا ما تحب ولن يصل اليك منهم مكروه.»!

فقال الحسين عليه السلام:

—:أنت اخواخيك؟ أتريد أن يطلبك بنوهاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل؟ .

«لا والله لا اعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد

«عباد الله اني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب.»

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها.

زهير بن القين يخاطب الضمائر الميتة:

وخرج اليهم زهير بن القين، على فرس ذنونب، وهو شاك في السلاح فقال:

– يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله، إنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا و بينكم السيف وانتم للنصيحة منا أهل فاذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا امة وانتم امة.

«ان الله ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد(ص) لينظر ما نحن وانتم عاملون إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيدالله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر سلطانهما، يسملان أعينكم و يقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم و يرفعانكم على جذوع النخل و يقتلان أماثلكم و قراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه،

فسبوه وأثنوا على عبيدالله بن زياد و دعوا له وقالوا: لانبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به و بأصحابه إلى عبيدالله بن زياد سلماً.»

فقال زهير: عبادالله ان ولد فاطمة احق بالود والنصر من ابن سمية فان لم تنصروهم فأُعيذكم بالله ان تقتلوهم فخلوابين هذا الرجل و بين يزيد،

فرماه الشمر بسهم وقال:

–: اسكت أسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك!

فقال زهير: ما إياك اخاطب، انما انت بهيمة والله ما اظنك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم

فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أفبالموت تخوفني. فوالله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم،

– عبادالله لايغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي واشباهه، فوالله لا ينال شفاعة

محمد(ص) قوماً هرقوا دماء ذريته واهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم.

فتناداه رجل من أصحابه ان أبا عبدالله يقول لك: اقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وابلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وابلغت لونفع النصح والبلاغ.

واستأذن الحسين برير بن خضير، في أن يكلم القوم فأذن له، وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة وله في الهمدانيين شرف وقدر.

فوقف قريباً منهم ونادى:

يامعشر الناس إن الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله، أفجزاء محمد هذا؟.

فقالوا: يا برير قد اكثرت الكلام، فاكفف عنا فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله!

فقال برير: يا قوم ان ثقل محمد قد اصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم؟

فقالوا: نريد أن نمكن منهم الامير عبيدالله بن زياد فيري فيهم رأيه.»

فقال: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا الى المكان الذي جاءوا منه

«ويلكم يا اهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها واشهدتم الله عليها وعليكم؟

«ادعوتم اهل بيت نبيكم وزعمتم انكم تقتلون انفسكم دونهم حتى اذا أتوكم أسلمتموهم الى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات؟

«بئسما خلفتم نبيكم في ذريته!

مالكم لاسقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم انتم!

فقال له نفر منهم: يا هذا ماندري ما تقول!

قال: الحمدلله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ اليك من فعال هؤلاء القوم اللهم الق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان»

فجعل القوم يرمونه بالسهام فتقهقر.

الحسين يعود الى مخاطبة العدو

ثم إنَّ الحسين(ع) ركب فرسه، وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال:

— يا قوم ان بيني و بينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله(ص).

ثم استشهدهم عن نفسه وماعليه من سيف النبي(ص) ولامته وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله؟

قالوا: طاعة للامير عبيدالله بن زياد،

فقال عليه السلام:

«تباً لكم أيتها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين: سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم الباً لاعدائكم على أوليائكم، بغيرعدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم،

«فهلا لكم الويلات؟ تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم اليها كطيره الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها

«فسحقاً لكم يا عبيد الامة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ومحر في الكلم، عصبة الاثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن!

«ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون! أجل والله غدرفيكم قديم وشجت عليه اصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب!

«ألا وإنَّ الدعي بن الدعي قد ركزبين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية، ونفوس أبية من

أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام،

«ألاواني زاحف بهذه الأُسرة على قلة العدد وخذلان الناصر. ثم انشد يقول

فــان نهــزم فــهــزامــون قــدمــاً	وان نهــزم فــغير مــهــزمــيــنــا
ومــا أن طــبــنــا جبن ولــكــن	مــنــايــانــا ودولــة آخــريــنــا
فــقــل للــشــامــتين بــنــا افيقوا	ســيــلقى الــشــامــتون كما لقيــنــا
اذا مــا المــوت رفــع عــن انــاس	بــكــلــكــلــه انــاخ بآخــريــنــا

«أما واللّه لا تـلـبـثـون بعدها الا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتـقـلـق بـكـم قـلـق المحور، عـهـد، عهده إلي ابي عن جدي رسول اللّه «فأجمعوا امركم و شركـاء كـم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون إني توكلت على اللّه ربي ور بكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم».

ثم رفع يديه نحوالسماء وقال:

«اللـهـم احـبـس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غـلام ثـقـيف يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا وانت ر بنا عليك توكلنا واليك المصير.

«واللّه لايدع احداً منهم إلا انتقم لي منة قتلة بقتلة، وضر بة بضر بة، وانه لينتصر لي ولأهل بيتي واشياعي»...

"الحر" ينضم الى معسكر الحسين

ولما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلامه واستغاثته، أقبل على عمر بن سعد وقال له:

ـ:أمقاتل انت هذا الرجل؟

قال: إي والله قتالا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الايدي

قال: مالكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟

فقال: لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك،

فتركه و وقف مع الناس، وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة:

هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟

فظن قرة من ذلك انه يريد الاعتزال و يكره أن يشاهده، فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلا فقال له المهاجر بن أوس: أتريد ان تحمل؟ فسكت، واخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال، وقال له

ـ لو قيل لي من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟

فقال الحر إني اخير نفسي بين الجنة والنار، و والله لا اختار على الجنة شيئاً ولو احرقت،

ثم ضرب جواده نحو الحسين منكساً رمحه قالباً ترسه وقد طأطأ برأسه حياء من آل الرسول، بما أتى اليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلأ

فرفع صوته وهو يقترب من الامام الحسين قائلا:

«اللهم اليك انيب فتب علي، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك! يا أبا عبدالله اني تائب فهل لي من توبة»؟!

فقال الحسين(ع) نعم يتوب الله عليك.

الحر ينصح جيش الكوفة

ثم استأذن الحسين في ان يكلم القوم فأذن له فنادى باعلى صوته:

«يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر، ادعوتم هذا العبد الصالح، حتى اذا جاءكم اسلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا انفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه وامسكتم بنفسه، واخذتم بكظمه واحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه الى بلاد الله العريضة حتى يأمن واهل بيته، واصبح كالأسير في ايديكم لايملك لنفسه نفعا ولاضرا، وحلأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشرب به اليهود والانصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه! وهاهم قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمدا في ذريته لاسقاكم الله يوم الظما...

فحلمت عليه رجالة ترميه بالنبل، فتقهقر حتى وقف امام الحسين...

الهجوم على معسكر اهل البيت (ع)

وتقدم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين ورمي بسهم وقال:

— اشهدوا لي عند الأمير اني اول من رمى ...

ثم رمى الناس فلم يبق من اصحاب الحسين احد الآ اصابه من سهامهم فقال عليه السلام لاصحابه:

— قوموا رحكم الله الى الموت الذي لابد منه، فان هذه السهام رسل القوم اليكم.

فحمل اصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة الآ عن خمسين صريعا من اصحاب الحسين فضرب الحسين(ع) يده على لحيته وجعل يقول: اشتد غضب الله على اليهود اذ جعلوا له ولدا، واشتد غضبه على النصارى اذ جعلوه ثالث ثلاثة واشتد غضبه على المجوس اذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، اما والله لااجيبهم الى شيء مما يريدون حتى الق الله وانا مخضب بدمي.

ثم صاح: «اما من مغيث يغيثنا! ما من ذاب يذب عن حرم رسول الله! فبكت النساء وكثر صراخهم.

وسمع الانصاريان «سعد بن الحارث» و اخوه «ابو الحتوف» استنصار الحسين واستغاثته و بكاء عياله وكانا مع ابن سعد، فمالا بسيفيهما على اعداء الحسين وقاتلا حتى قتلا.

واخذ اصحاب الحسين بعد ان قل عددهم و بان النقص فيهم يبرز الرجل بعد الرجل فاكثروا القتل في اهل الكوفة فصاح عمرو بن الحجاج بأصحابه:

اتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر واهل البصائر وقوما مستميتين لايبرز اليهم احد منكم الا قتلوه على قلتهم، والله لولم ترموهم الآ بالحجارة لقتلتموهم!

فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي مارأيت ارسل فى الناس من يعزم عليهم ان لايبارزهم رجل منهم ولوخرجتم اليهم وحدانا لا توا عليكم.

ثم حمل «عمرو بن الحجاج» على ميمنة الحسين، فثبتوا له وجثوا على الركب واشرعوا الرماح، فلم تقدم الخيل فلما ذهب الخيل لترجع رشقهم اصحاب الحسين بالنبل فصرعوا رجالاً وجرحوا آخرين.

استشهاد مسلم بن عوسجه

ثم حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات، فاقتتلوا ساعة وفيها قاتل مسلم بن عوسجة فشد عليه مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالله البجلي وثارث لشدة الجلاد غبرة شديدة وما انجلت الغبرة الا ومسلم صريع و به رمق،

فمشى اليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسين:

رحمك الله يا مسلم، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ودنا منه حبيب وقال:

عز عليّ مصرعك يا مسلم إبشر بالجنة

فقال بصوت ضعيف: بشرك الله بخير

قال حبيب: لولم أعلم أني في الا ثر لأحببت أن توصي الي بما أهمك

فقال مسلم: اوصيك بهذا

واشار الى الحسين أن تموت دونه

قال: أفعل ورب الكعبة وفاضت روحه بينهما، وصاحت جارية له

وامسلماه يا سيداه يا ابن عوسجتاه فنادى أصحاب ابن الحجاج قتلنا مسلماً.

استشهاد وهب وزوجته

وحمل الشمر في جماعة من اصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبدالله بن عمير الكبي وكنيته ابووهب، فقال الحسين عنه احبسه للاقران قتالا، فقتل تسعة عشر فارسا واثني عشر راجلاً، وشد عليه هاني به ثبت الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكر بن حي ساقه.

واخذت زوجته ام وهب بنت عبدالله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له.

فداك ابي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فاراد ان يردها الى الخيمة فلم تطاوعه واخذت تجاذبه ثوبه وتقول:

لن ادعك دون ان اموت معك.

فناداهم الحسين جزيتم عن اهل بيت نبيكم خيرا... ارجعي الى الخيمة، فانه ليس على النساء قتال... فرجعت.

وحينما قتل وهب مشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول:

هنيئاً لك الجنة اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك

فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها وهي أول امرأة قتلت من اصحاب الحسين.

وقطع رأسه ورمي به الى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمة و برزت الى الأعداء، فردها الحسين وقال

ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد فرجعت وهي تقول:

اللهم لا تقطع رجائي، فقال الحسين لايقطع الله رجاءك .

وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح وقال

علي بالنار لأحرقه على أهله

فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط ، وناداه الحسين

يا بن ذي الجوشن انت تدعو بالنار لتحرق بيتي على اهلي احرقك الله بالنار! وقال له شبث بن ربعي :

أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالا اسوأ من مقالك وموقفاً اقبح من موقفك، فاستحى وانصرف.

وحمل على جماعته زهير بن القين في عشرة من اصحابه حتى كشفوهم عن البيوت.

التسابق الى الشهادة

ولما نظر من بقي من اصحاب الحسين إلى كثرة من قتل منهم أخذ الرجلان والثلاثة والاربعة يستأذنون الحسين في الذب عنه والدفع عن حرمه، وكل يحمي الأخر من كيد عدوه

فخرج الجابريان وهما سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن سريع وهما ابنا عم وهما يبكيان فقال الحسين:

– ما يبكيكما إني لارجوان تكونا بعد ساعة قريري العين.

قالا: جعلنا الله فداك ماعلى أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد احيط بك ولانقدر أن ننفعك فجزاهما الحسين خيراً فقاتلاً قريبا منه حتى قتلا

وجاء عبدالله وعبدالرحمن إبنا عروة الغفاريان فقالا: قد حازنا الناس اليك فجعلا يقاتلان بين يديه حتى قتلا.

وخرج عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبدالله العائذي وشدوا جميعاً على أهل الكوفة فلما أوغلوا فيهم عطفوا عليهم وقطعوهم عن أصحابهم، فندب اليهم الحسين أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع مابهم من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد.

صلاة في محراب الدماء

والتفت ابو ثمامة الصائدي الى الشمس قد زالت، فقال للحسين:

–: نفسي لك الفداء اني ارى هؤلاء قد اقتربوا منك، لاوالله لا تقتل حتى اقتل دونك، واحب ان القى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها.

فرفع الحسين رأسه الى السماء وقال:

–: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلي... فقال الحصين بن نمير انها لا تقبل.

فقال له حبيب بن مظاهر:

– زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله –ص– وانصارهم، وتقبل منك يافاسق؟

فحمل عليه الحصين فضرب حبيب وجه فرسه بالسيف فشبت به ووقع عنه، واستنقذه اصحابه فحملوه.

وقاتلهم حبيب قتالاً شديداً فقتل على كبره اثنين وستين رجلا وحمل عليه «بديل بن صريم» فضربه بسيفه وطعنه آخر من تميم برمحه فسقط الى الارض، فذهب ليقوم، واذا الحصين يضربه بالسيف على رأسه فسقط لوجهه، ونزل اليه التميمي واحتز رأسه، فهد مقتله الحسين فقال:

– عندالله احتسب نفسي وحماة اصحابي.. واسترجع كثيرا.

* * *

وقام الحسين الى الصلاة، فقيل إنه صلى بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف وتقدم امامه زهير بن القين وسعيد بن عبدالله الحنفي في نصف من اصحابه

ولما أثخن سعيد بالجراح سقط الى الارض وهو يقول:

اللهم العنهم العنهم لعن عاد وثمود وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فاني اردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله وسلم

والتفت الى الحسين قائلا: أوفيت يا ابن رسول الله؟

قال الحسين: نعم أنت امامي في الجنة وقضي نحبه... فوجد فيه ثلاثة عشر سهما غيرالضرب والطعن.

ولما فرغ الحسين من الصلاة، قال لأصحابه:

– يا كرام هذه الجنة قد فتحت ابوابها، واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم و يتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله و دين نبيّه وذبوا عن حرم الرسول

فقالوا: نفوسنا لنفسك الفداء ودماؤنا لدمك الوقاء فوالله لايصل اليك والى حرمك سوء وفينا عرق يضرب.!

استشهاد الحر الرياحي

ثم خرج الحر بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره، فكان اذا شد احدهما واستلحم، شدّ الآخر واستنقذة ففعلا ذلك ساعة، وأنّ فرس الحر المضروب عل اذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه وكان يرتجز و يقول:

انـي انـا الـحـر ومـأوي الضيف   اضـرب فـي اعـنـاقكـم بـالسـيف
عن خير من حلّ بارض الخيف   اضـربـكـم ولا ارى م حـيـف

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله. قال نعم، وخرج اليه يطلب المبارزة فما اسرع ان قتله «الحر» ثم رمى «ايوب بن مشرح الخيواني» فرس الحر بسهم فعقره وشبّ به الفرس فوثب عنه كأنه ليث و بيده السيف وجعل يقاتل راجلا حتى قتل نيفا واربغين، ثم شدت عليه الرجالة فصرعته، وحمله اصحاب الحسين(ع) ووضعوه امام الفسطاط الذي يقاتلون دونه، وهكذا يؤتى بكل قتيل الى هذا القسطاط والحسين يقول:

لـنـعـم الـحـر حـر بـنـي ريـاح   صـبـور عـنـد مـشـتـبـك الرماح
ونـعـم الـحـر اذ فـادى حـسـيـنـا   وجـاد بـنـفـسـه عـنـد الـصـبـاح

هجوم على الخيل!

ثم ان عمر بن سعد وجه عمرو بن سعيد في جماعة من الرماة فرموا اصحاب الحسين وعقروا خيولهم، ولم يبق مع الحسين فارس الآ الضحاك بن عبدالله المشرقي، يقول:

«لما رأيت خيل إصحابنا تعقر اقبلت بفرسي وادخلتها فسطاطاً لاصحابنا، واقتتلوا اشد القتال وكان كل من اراد الخروج ودع الحسين بقوله: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه الحسين و عليك السلام... ونحن خلفك ثم يقرأ «ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»

استشهاد زهير بن القين

وخرج سلمان بن مضارب البجلي وكان ابن عم زهير بن القين فقاتل حتى قتل.

وخرج بعدة زهير بن القين فوضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً:

اقدم هديت هاديا مهديا ... فاليوم القى جدك النبيا

وحسنا والمرتضى عليا ... واذا الجناحين الفتى الكميا

واسد الله الشهيد الحيا

فقال الحسين: وانا القاهما على اثرك. وكان في حملاته يقول:

انا زهير وانا ابن القين ... اذودكم بالسيف عن حسين

فقتل مائة وعشرين، ثم عطف عليه كثير بن عبدالله الصعبي والمهاجر بن اوس فقتلاه، فوقف الحسين على جثمانه وقال:

«لايبعدنك الله يازهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير.

استشهاد نافع الجملي

ورمى نافع بن هلال الجملي المذحجي العدو بنبال مسمومة كتب اسمه عليها وهو يقول.

أرمي بها معلمة أفواقها ... مسمومة تجري بها اخفاقها

ليملأن ارضها رشاقها ... والنفس لاينفعها اشفاقها

فقتل اثني عشر رجلا، سوى من جرح ولما فنيت نباله جرد سيفه يضرب فيهم فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنصال حتى كسروا عضديه واخذوه اسيراً

فأمسكه الشمر ومعه اصحابة يسوقونه، فقال له ابن سعد: ماحملك على ما صنعت بنفسك؟ قال:

إن ربي يعلم ما اردت، فقال له رجل وقد نظر إلى الدماء تسيل على وجهه ولحيته: أما ترى مابك؟

فقال: والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت وما الوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد ما اسرتموني!

وجرد الشمر سيفه، فقال له نافع:

والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله بدمائنا فالحمدلله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه ثم قدمه الشمر وضرب عنقه.

الحسين يعانق الشهداء

ولما صرع واضح التركي، مولى الحرث المذحجي، استغاث بالحسين فأتاه أبوعبدالله واعتنقه!

فقال: من مثلي وابن رسول الله(ص) واضع خده على خدى اثم فاضت نفسه الطاهرة.

ومشى الحسين الى أسلم مولاه واعتنقه، وكان به رمق فتبسم وافتخر بذلك ومات!

استشهاد برير بن خضير

ونادى يزيد بن معقل:

ـ: يا برير كيف ترى صنع الله بك؟

فقال صنع الله بي. خيراً وصنع بك شراً.

فدعاه برير الى المباهلة فرفعا ايديهما الى الله سبحانه يدعوانه أن يلعن الكاذب و يقتله، ثم تضاربا فضربه برير على رأسه فقدت المغفر والدماغ كانّما هوى من شاهق و سيف برير ثابت فى رأسه و بيناهو يريد ان يخرجه إذ حمل عليه رضي بن منقذ العبدي واعتنق بريراً واعتركا فصرعه برير وجلس على صدره فاستغاث رضي بأصحابه، فذهب كعب بن جابر بن عمرو الازدي ليحمل على برير فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الأخنس «هذا برير بن خضير القارى الذي كان يقرؤنا القرآن في جامع الكوفة» فلم يلتفت اليه وطعن بريراً في ظهره، فبرك برير على رضي وعض وجهه وقطع طرف انفه وألقاه كعب برمحه وضربه بسيفه فقتله.

استشهاد حنظلة الشبامي

ونادى حنظلة بن سعد الشبامي:

«يا قوم إني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثموه والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد— يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد —يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى.

فجزّاه الحسين خيراً وقال:

«رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك مادعوتهم اليه من الحق ونهضوا اليك ليستبيحوك واصحابك فكيف بهم الأن وقد قتلوا اخوانك الصالحين.

قال: صدقت يا ابن رسول الله أفلا نروح الى الآخرة؟ فأذن له فسلم على الحسين وتقدم يقاتل حتى قتل.

استشهاد عابس

واقبل عابس بن شبيب الشاكري على شوذب، مولى شاكر و كان شوذب من الرجال المخلصين.

فقال: يا شوذب ما في نفسك ان تصنع؟ قال: أقاتل معك حتى اقتل فجزاه خيراً و قال له: تقدم بين يدي أبي عبدالله(ع) حتى يحتسبك كما احتسب غيرك و حتى أحتسبك فان هذا يوم نطلب فيه الاجر بكل ما نقدر عليه فسلم شوذب على الحسين و قاتل حتى قتل.

فوقف عابس امام ابي عبدالله(ع) و قال:

«ما امسى على ظهر الارض قريب و لا بعيد اعز علي منك ولو قدرت ان ادفع الضيم عنك بشيء اعز علي من نفسي لفعلت، السلام عليك، اشهد اني على هداك و هدى ابيك! و مشى نحو القوم مصلتاً سيفه و به ضربة على جبينه فنادى:

ألا رجل.. فأحجموا عنه لأنهم عرفوه اشجع الناس،

فصاح عمر بن سعد:

«ارضخوه بالحجارة فرمي بها فلما رأى ذلك القى درعه و مغفره و شد على الناس انه ليطرد اكثر من مائتين، ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

استشهاد جون

و وقف جون مولى ابي ذر الغفاري امام الحسين يستأذنه فقال عليه السلام:

«يا جون إنما تبعتنا طلباً للعافية فأنت في اذن مني؟

فوقع على قدميه يقبلهما و يقول: «أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، و في الشدة أخذلكم... و اضاف ان ريحي لنتن و حسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي و يشرف حسبي و يبيض لونى، لا والله افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم!

فأذن له الحسين فقتل خمساً و عشرين و قتل،

فوقف عليه الحسين و قال: اللهم بيّض وجهه و طيّب ريحه و احشره مع محمد(ص) و عرّف بينه و بين آل محمد(ص).

استشهاد انس الكاهلي

وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً، فاستأذن الحسين و برز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة، ولما نظر اليه الحسين بهذه الهيئة قال: شكر الله لك يا شيخ، فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقتل.

استشهاد عمرو بن جنادة

وجاء عمرو بن جنادة الانصاري، بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال:

«هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك

فقال الغلام: ان امي امرتني والبستني لامة حربي

فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت الى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وانشأت تقول:

انى عجوز في النسا ضعيفة   خاوية بالية نحيفة
اضربكم بضربة عنيفة   دون بني فاطمة الشريفة

فردها الحسين إلى الخيمة بعد أن اصابت بالعمود رجلين.

استشهاد الحجاج الجعفي

وقاتل الحجاج بن مسروق الجعفي حتى خضب بالدماء فرجع إلى الحسين يقول:

اليوم ألقى جدك النبيا ثم أباك ذا الندى عليا
ذاك الذي نعرفه الوصيا

فقال الحسين: وأنا القاها على أثرك فرجع يقاتل حتى قتل

استشهاد سويد

ولما اثخن بالجراح سويد بن عمرو بن أبي المطاع سقط لوجهه وظن انه قتل، فلما قتل الحسين وسمعهم يقولون «قتل الحسين» أخرج سكينة كانت معه فقاتل بها وتعطفوا عليه، فقتلوه وكان آخر من قتل من الاصحاب بعد الحسين عليه السلام.

استشهاد علي الاكبر

لما لم يبق مع الحسين الا أهل بيته، عزموا على ملاقاة الحتوف بباس شديد وحفاظ مر و نفوس أبية واقبل بعضهم يودع بعضاً واول من تقدم أبوالحسن علي الأكبر وهو يرتجز:

أنـا علي بـن الحسين بـن علي   نحن ورب البيت أولي بالنبي
تـالله لايحكم فينا ابن الدعي   أضرب بالسيف احامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي

ولم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد:

«مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبحك على فراشك

ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز اليهم اشبه الناس برسولك محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا اذا اشتقنا الى رؤية نبيك نظرنا اليه اللهم، فامنعهم بركات الارض وفرقهم تفريقا، ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرايق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصر وناثم عدوا علينا يقاتلونا» ثم تلا قوله تعالى: إن الله اصطفى آدم و نوحاً وآل ابراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

ولم يزل «علي الاكبر» يحمل على الميمنة و يعيدها على الميسرة و يغوص في الاوساط، فلم يقابله جحفل الارده ولابرزاليه شجاع إلا قتله.

فقتل مائة وعشرين فارساً وقد اشتد به العطش فرجع الى ابيه يستريح و يذكر ما اجهده من العطش فقال له الحسين:

«ما أسرع الملتقى بجدك فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها ابداً» وأخذ لسانه فمصه ودفع اليه خاتمه ليضعه فى فيه

ورجع «علي» الى الميدان مبتهجاً بما قاله ابوه.

فقال مرة بن منقذ العبدي، علي آثام العرب إن لم أثكل أباه به، فطعنه بالرمح في ظهره وضربه بالسيف على رأسه ففلق هامته فاعتنق علي الاكبر فرسه فاحتمله الى معسكر الاعداء، وأحاطوا به حتى قطعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

ونادى رافعاً صوته: عليك مني السلام ابا عبدالله هذا جدي قد سقاني بكأسه شربة لا اظمأ بعدها وهو يقول إن لك كأساً مذخورة، فأتاه الحسين عليه السلام وانكب عليه واضعاً خده على خده وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا ما اجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول يعزعلى جدك وابيك ان تدعوهم فلايجيبونك وتستغيث بهم فلا يغيثونك

وأمر فتيانه أن يحملوه الى الخيمة فجاؤا به إل الفسطاط الذي يقاتلون أمامه.

استشهاد عبدالله بن مسلم

وخرج من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وامه رقية الكبرى بنت اميرالمؤمنين عليه السلام وهو يقول:

اليوم القى مسلماً وهو أبي وعصبة باتوا على دين النبي

فقتل جماعة بثلاث حملات ورماه يزيد بن الرقاد الجهني فاتقاه بيده فسمرها إلى جبهته فما استطاع ان يزيلها عن جبهته فقال

«اللهم انهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا

وبينا هو على هذا إذ حمل عليه رجل برمحه فطعنه في قلبه ومات، فجاء اليه يزيد ابن الرقاد واخرج سهمه من جبهته وبقي النصل فيها وهو ميت.

هجوم آل ابي طالب

ولما قتل عبدالله بن مسلم، حمل آل أبي طالب حملة واحدة، فصاح بهم الحسين عليه السلام:

صبراً على الموت يا بني عمومتي والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم.

فوقع فيهم عون بن عبدالله بن جعفر الطيار وامه العقيلة زينب، واخوه محمد وامه الخوصاء، وعبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب، واخوه جعفر بن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل.

وخرج ابوبكر بن اميرالمؤمنين عليه السلام واسمه محمد فقتله زحر بن بدر النخعي.

وخرج عبدالله بن عقيل فما زال يضرب فيهم حتى اثخن بالجراح وسقط الى الارض فجاء اليه عثمان بن خالد التميمي فقتله.

استشهاد القاسم واخوه

وخرج ابوبكر بن الحسين بن اميرالمؤمنين(ع) وهو عبدالله الاكبر وامه رملة، فقاتل حتى قتل.

وخرج من بعده اخوه لامه وأبيه القاسم، وهو غلام لم يبلغ الحلم، فلما نظر اليه الحسين عليه السلام اعتنقة وبكى، ثم اذن له فبرز كأن وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى، وأنف ابن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتفي في الميدان فوقف يشد شسع نعله، وهو لايزن الحرب الابمثله غير مكترث بالجمع ولا مبال بالالوف.

وبينا هو على هذا إذشد عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي فقال له حميد بن مسلم:

وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه!

فقال: والله لأشدن عليه، فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه فقال ياعماه... فأتاه الحسين كالليث الغضبان فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من المرفق، فصاح صيحة عظيمة سمعها العسكر فحملت خيل ابن سعد لتستنقذة فاستقبلته بصدرها ووطأته بحوافرها فمات.

«وانجلت الغبرة واذا الحسين، قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه! والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك خصمهم يوم القيامة جدك.

ثم قال: عز والله على عمك أن تدعوه فلايجيبك، او يجيبك فلا ينفعك صوت والله كثر واتره وقل ناصره، ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين(ع) ورجلاه يخطان في الارض، فألقاه مع علي الاكبر وقتلى حوله من أهل بيته.

ورفع طرفه الى السماء وقال: اللهم احصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفرلهم ابداً!

صبراياً بني عمومتي صبراًيا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً

استشهاد اخوة العباس (ع)

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من أهله قال لاخوته من أمه وأبيه عبدالله وعثمان وجعفر:

«تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله»

والتفت إلى عبدالله وكان أكبر من عثمان وجعفر وقال: تقدم يا أخي حتى أراك قتيلا وأحتسبك»

فقاتلوا بين يدي أبي الفضل حتى قتلوا بأجمعهم.

استشهاد العباس (ع)

ولم يستطع العباس صبراً على البقاء بعد أن فنى صحبه وأهل بيته فجاء الى الحسين وقال:

قدضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن أخذ ثأري منهم، فأمره الحسين(ع) أن يطلب الماء للاطفال، فذهب العباس الى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع! فنادى بصوت عال:

يا عمر بن سعد: هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى، فاسقوهم من الماء، قد أحرق الظما قلوبهم

فأثر كلامه في نفوس القوم حتى بكى بعضهم، ولكن الشمر صاح بأعلى صوته: يا بن أبي تراب لوكان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد!

فرجع إلى أخيه يخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش.

ثم انه ركب جواده وأخذ القربة فأحاط به أربعة آلاف ورموه بالنبال فلم ترعه كثرتهم وأخذ يطرد أولئك الاعداء وحده ولواء الحمد يرف على رأسه فلم تثبت له الرجال، ونزل إلى الفرات مطمئناً غيرمبال بذلك الجمع.

ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين ومن معه فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني   و بعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون   و تشربين بارد المعين
تاللّه ما هذا فعال ديني

ثم ملأ القربة و ركب جواده و توجه نحو المخيم فقطع عليه الطريق و جعل يضرب حتى اكثرالقتل فيهم و كشفهم عن الطريق و هويقول:

لا ارهب الموت إذا الموت زقا   حتى أُوارى في المصاليت لقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى   إني أنا العباس أغدوا بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الوقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل فضربه على يمينه فبراها فقال عليه السلام:

واللّه إن قطعتم يميني   إني أُحامي ابداً عن ديني
و عن إمام صادق اليقين   نجل النبي الطاهر الامين

فلم يعبأ بيمينه، حيث ان همه كان إيصال الماء الى اطفال الحسين وعياله، ولكن حكيم بن الطفيل كمن له وراء نخلة، فلما مر به ضربه على شماله فقطعها وتكاثروا عليه! وأتته السهام كالمطر فأصاب القربة سهم وأُريق ماؤها وسهم أصاب صدره وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته!

وسقط على الارض ينادي:

«عليك مني السلام ابا عبدالله.

فاتاه الحسين، فرآه مقطوع اليمين، والشمال، فانحنى عليه وبكى بكاءاً عالياً وقال ـ ع ـ الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي.

ورجع الحسين الى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى:

أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير «يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، إما من

خائف من النار فيذب عنا!

فأتته سكينة وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت: وا أخاه وا عباساه واضيعتنا بعدك! وبكت النسوة وبكى الحسين معهن.

الحسين في الميدان

ولما قتل العباس التفت الحسين(ع) فلم ير احداً ينصره ونظر إلى اهله وصحبه مجزرين كالأضاحى وهو إذ ذاك يسمع عويل الايامى وصراخ الأطفال فصاح بأعلى صوته:

«هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجوالله في اغاثتنا؟

ثم انه عليه السلام أمر عياله بالسكوت، وودعهم وكانت عليه جبة خز دكناء وعمامة موردة ارخى لها ذوابتين والتحف ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقلد بسيفه.

وطلب ثوبا لايرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه، لئلا يجرد منه فانه مقتول مسلوب، فأتوه بتبان فلم يرغب فيه لانه من لباس الذلة واخذ ثوباً خلقاً ولبسه تحت ثيابه.

استشهاد الرضيع

ودعا بولده الرضيع يودعه، فأتته زينب بابنه عبدالله، وامه الرباب فأجلسه في حجره يقبله و يقول

«بعداً لهؤلاء القوم اذا كان جدك المصطفى خصمهم.

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء.

وقال: هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى اللهم لايكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنافي العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم انت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله ثم نزل عليه السلام عن فرسه وحفر له قبراً بجفن سيفه ودفنه مرملا بدمه وصلى عليه.

وتقدم الحسين(ع) نحو القوم مصلتاً سيفه آيساً من الحياة ودعا الناس الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه حتى قتل جمعاً كثيراً، ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

الموت أولى من ركوب العار والعار اولى من دخول النار

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا انثني

احمي عيالات أبي امضي على دين النبي

قال عبدالله بن عمار بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده واهل بيته وصحبه اربط جأشاً منه ولا امضى جناناً ولا اجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال

تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له احد.

فصاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الانزع البطين، هذا ابن قتال العرب احملوا عليه من كل جانب، فأتته اربعة آلاف نبلة وحال الرجال بينه و بين رحله فصاح بهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكُم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً في دنياكم وارجعوا الى احسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون.»

فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: انا الذي اقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي مادمت حياً.

فقال الشمر: لك ذلك.

وقصده القوم واشتد القتال وقد اشتد به العطش، فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان فى اربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء ولما مد يده ليشرب ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟

فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة.

ثم اخرج السهم من قفاه فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال:

«هوّن علي ما نزل بي انه بعين الله! ثم وضعها ثانياً فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال:

«هكذا اكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله(ص) وانا مخضب بدمي واقول: يا جدي قتلني فلان و فلان.

استشهاد عبدالله بن الحسن

ثم انهم لبثوا هنيئة وعادوا الى الحسين واحاطوا به وهو صريع على الأرض لايستطيع النهوض، فنظر عبدالله بن الحسن وله احدى عشرة سنة الى عمه وقد أحدق به القوم فأقبل يشتد نحو عمه وأرادت زينب حبسه فأفلت منها، وجاء الى عمه وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح الغلام:

«يا ابن الخبيثة أتضرب عمي؟ فضربه واتقاها الغلام بيده فأطنها الى الجلد فاذا هي معلقة فصاح الغلام: يا عماه! ووقع في حجر الحسين، فضمه اليه وقال:

«يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فان الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين

وزفع يديه قائلا: اللهم ان متعتهم الى حين ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم ابداً فانهم دعونا لينصر وناثم عدوا علينا يقاتلونا.

ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجرعمه... وامه واقفة بباب الخيمة تنظر اليه وهي مدهوشة.

الحسين صريعاً

وبقي الحسين مطروحا مليا ولو شاؤوا ان يقتلوه لفعلوا... الآ ان كل قبيلة تتكل على غيرها فى قتله وتكره الاقدام.

فتقدم اليه زرعة بن شريك فضربه على كتفه الأيسر ورماه الحصين في حلقه، وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن انس في ترقوته ثم في بواني صدره، ثم رماه بسهم في نحره، وطعنه صالح بن وهب في جنبه.

قال هلال بن نافع:

«كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلا قط مضمخاً بدمه احسن منه وجهاً ولا انور! ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله! فاستقى في هذه الحال ماء فأبوا ان يسقوه!

وقال له رجل:

«لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حيمها!

فقال عليه السلام:

«انا لا ارد الحامية وانما ارد على جدي رسول الله واسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر واشكو اليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي.

الحسين يشكو الى الله!

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم متعال المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلايق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء. قريب اذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة، لمن تاب اليك، قادر على ما اردت، تدرك ماطلبت شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت، ادعوك محتاجا وارغب اليك فقيراً! وافزع اليك خائفاً وابكي مكروباً، واستعين بك ضعيفاً واتوكل

عليك كافياً اللهم أحكم بيننا و بين قومنا فانهم غرونا وخذلونا وغدروابنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد(ص) الذي أصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من امرنا فرجاً ومخرجاً يا ارحم الراحمين.

«صبراً على قضائك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له يا دائماً لانفاذ له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس، بما كسبت احكم بيني و بينهم وانت خير الحاكمين.

ونادت أُم كلثوم و زينب العقيلة

«وامحمداه واابتاه وآعليّاه واجعفراه واحمزتاه هذا حسين بالعراء صريع بكربلا ثم نادت زينب: ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل!!

وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه! فصاحت:

«أي عمر أيقتل ابوعبدالله وأنت تنظر اليه؟!

فصرف بوجهه عنها و دموعه تسيل على لحيته.

فقالت: ويحكم اما فيكم مسلم؟ فلم يجبها احد!

ثم صاح ابن سعد بالناس: انزلوا اليه و أريحوه فبدر اليه شمر فرفسه برجله و جلس على صدره و قبض على شيبته المقدسة و ضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة و احتز رأسه المقدس!!

استلاب جسد الحسين!

و أقبل القوم على سلبه، فأخذ اسحاق ابن حوية قميصه، و اخذ الأخنس ابن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته، و اخذ الأسود بن خالد نعليه و اخذ سيفه رجل من بني تميم اسمه الأسود بن حنظلة.

و جاء بجدل فرأى الخاتم في اصبعه و الدماء عليه فقطع اصبعه و اخذ الخاتم واخذ قيس بن الأشعث قطيفته و اخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمي و اخذ القوس و الحلل الرحيل بن خيثمة الجعفي و هاني بن شبيب الحضرمي و جرير بن مسعود الحضرمي.

الفهرس

مطابع يوسف بيضون
هاتف ٨٣٠٩٤٠ - بيروت - لبنان